مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء الرابع نيسان سنة ١٩٤١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠

# تآليف ابن العديم

كان أجداد ابن العديم قضاةً تسلسل فيهم العلم اجيالاً ، وكان من وراء نعمة عظيمة تجمعت لأهله بطول الزمن . جاء اهله في القرن الثاني من البصرة ونزلوا حلب تجاراً ، وبعد حين اشتغل بعضهم بالعلم فانقلبت تجارتهم ، وبان الأدب والذكاء على كثير من ابنائهم ، حتى اذا كان القرن السابع نبغ آخرهم صاحب المكانة الكبرى في عالم العلم والأدب ، فهو وارث مجد أسرته اعانه الغنى على الظهور بالعلم ففاق الاقران وخلد اسمه في سجل الزمان .

غرست الفطرة في ابن العديم صفات نادرة كانت عوناً له على ما أخذ نفسه به من الدرس ، وعلى تجلي عبقريته وانبعاث قريحته ، هذا مع كثرة العلماء في بلده على عهده . وكان هو مفنناً فناناً ، مفنناً بالعلم الذي تلقاه عن علماء عصره وبه اعد نفسه لتولي منصب قاضي القضاة في مدينة عظيمة ، فبرز في الفقه والحديث والادب والانشاء والشعر والتاريخ وكل ما تكمل به أدوات القاضي والمفتي . وكان فناناً لأنه رزق الاجادة في الخط حتى كان رأساً في الخط المنسوب ولا سيما النسخ والحواشي ، وكان يقرأ الخط المعقد كأنه يقرأ من حفظه ، وقالوا انه اكتب من كل من تقدمه بعد ابن البواب ، وله كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه واقلامه وطروسه . عاش كأغنياء العلماء واخذ العلم عن علماء حلب ودمشق ، ورحل الى الحجاز ومصر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعراق ، وكان اذا سافر يركب في محفة تشيله بين بغلين ويجلس فيها ويكتب .

هذا هو كمال الدين عمر العقيلي الحلبي رئيس الشام ( ٦٦٦ هـ ) وكان يطلق على اسرته اسم بني جرادة ثم غلب على بيتهم اسم « العديم » ، وكان جميع أهل هذا البيت منذ كان الاسلام يحفظون الكتاب العزيز . وقد تولى خمسة منهم على التوالي منصب قاضي القضاة بحلب ، وكان كمال الدين واسطة عقدهم اشتغل بالسياسة والعلم فتولى الوزارة مرتين : الأولى للملك العزيز والثانية للناصر آخر بني ايوب ، وذهب بالسفارة عنهما الى بغداد والقاهرة . ولا يتولى الوزارات في الغالب إلا الاكفياء ، ولا ينوب عن صاحبه في السفارات الا أرباب الكفاءات المعترف بها .

ألف كمال الدين وصنف وكتب بخطه الجيد ألوفاً من الصفحات ومن جملة ما كتب بخطه البديع ثلاث خزائن من الكتب : واحدة لنفسه وخزانتان لابنيه لكل منهما خزانة فاذا فرضنا أن كل خزانة تضم مئة مجلد وهو أقل تعديل فيكون مجموع ما كتب ثلثمائة مجلد عدا تآليفه الممتعة التي نمت على تحقيقه وبحثه ولم نعرف منها سوى ثلاثة .

الأول من كتبه ( ومنه نسخة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق ) رفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري أو الانصاف والتحري ، ذكر فيه كل ماله اتصال بأصل المعري ومنشئه وأدبه وعلمه وتصانيفه ورحلته الى بغداد في طلب العلم وما وقع له طول حياته من الحوادث ومن كان يعطف عليه من أهله وكلهم معروفون بالأدب والشعر ومن كان يستملي منه مصنفاته ومن يكتب له ليل نهار وكان أربعة في جرايته وجارية ، وذكر من أخذ عنه . والمقصد من كل هذا الكتاب تبرئة المعري من التعطيل وكان اعداؤه ينحلونه أبياتاً او يحرفون اياتاً من شعره ليصححوا دعواهم عليه بانحلال العقيدة . واهم جزء من الكتاب ( وهو دفع دعوى الإلحاد عن أبي العلاء ) ناقص من النسخ التي عرفت من الكتاب على أن ذلك لا يمنع من نشره بالطبع لما فيه من الفوائد التي أثرت عن شيخ المعرة وحكيمها وأديبها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والثاني تذكرة ابن العديم وجد منها مجلد ، في بضعة أجزاء أولها الجزء الخامس وآخرها الجزء السادس عشر وفيها فوائد أدبية وتاريخية كثيرة وهي جديرة بالطبع أيضاً ، ومما جاء في أولها لعلي بن ابراهيم بن عبد المحسن بن قرناص الخزاعي الحموي :

جفني بجفنك قد جفاه هجوعه والقلب واصله عليك ولوعه
وسقام جسمي فيك عز ذهابه والنوم عزّ على الجفون رجوعه

ومما جاء فيها : انشدني منجب الدين ابن الامان المذكور قال أنشدني القاضي وجيه الدين ملهف ابن الصنديد الشيزري قال انشدني للأمير شرف الدولة ابن منقذ نفسه وكانت الزلزلة قد خربت شيزر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وسقطت القلعة على أخيه وأولاده وزوجته الخاتون اخت شمس الملوك فسلمت دونهم ونبشت من الردم فجاء نور الدين محمود بن زنكي الى شيزر وتسلمها وطلب من زوجة أخيه أن تعلمه بالمال وتهددها فقالت له : ان الردم سقط عليها وعليهم ونبشت سالمة دونهم ولا تعلم بشيء وان كان لهم شيء فهو تحت الردم . وكان شرف الدولة غائباً فلما حضر ورأى شيزر وما حل بها وعاين زوجة أخيه بعد العز في ذلك الذل عمل :

ليس الصباح من المساء بأمثل فأقول لليل الطويل ألا انجلي
شلت يد الأيام ان قسيها ما أرسلت سهماً فأخطأ مقتلي
لي كل يوم كربة من نكبة يهمي لها جفني وقلبي يصطلي
يا تاج دولة هاشم بل يا أبا التيجان بل يا قصد كل مؤمل
لو عاينت عيناك قلعة شيزر والستر دون نسائها لم يسدل
لرأيت حصناً هائل المرأى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل

ومنها يشير الى زوجة أخيه المذكورة

نزلت على رغم الزمان ولو حوت يمناك قائم سيفها لم تنزل
فتبدلت عن كبرها بتواضع وتعوضت من عزها بتذلل

وقال في أخيه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ودُفنت بين ثلاثة ضاجعتهم كالليث ضاجعه ثلاثة أشبل

وكان هذا الزلزال من أشد ما منيت به بلاد الشام في القرون الوسطى هلك فيه كما قال ابن الأثير مالا يحصى كثرة وخرب منها بالمرة حماة وشيزر وكفر طاب والمعرة وأفامية وحمص وحصن الأكراد وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية . واما كثرة القتلى فيكفي أن معلماً كان في حماة ذكر عنه أنه فارق المكتب لهم عرض له ، فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له بالمكتب . أما حصن شيزر وهو على نصف نهار من حماة فكان لآل منقذ الكنانيين فلم ينج منهم أحد ، وسبب هلاكهم أجمعين أن صاحبها كان قد ختن ولداً له وعمل دعوة للناس ، واحضر جميع بني منقذ عنده في داره ، وكان له فرس يحبه ولا يكاد يفارقه ، واذا كان في مجلس أقيم الفرس على بابه ، وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار ، فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمح الفرس رجلاً كان أولهم فقتله ، وامتنع الناس من الخروج ، فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة وسقط سورها وكل بناء فيها ، ولم ينج منها الا الشريد .

وكان بنو منقذ اصحاب قلعة شيزر ( واليوم يقال لها سيجر ) سلسلة جميلة في الشعر والأدب كما كان بنو العديم في حلب سلسلة متصلة الاسانيد بالقضاء . خربت قلعة شيزر والى اليوم لا تزال خراباً يباباً ، وأدب بني منقذ ما زال محفوظاً في الدواوين يتناقله المتأدبون ويعجب به الشادون والمحققون . وكان آخرهم أسامة ( ٤٨٨ — ٥٨٤ هـ ) من أئمة الأدب عرفناه من الكتب التي أبقت الأيام عليها ، ومنها كتاب الاعتبار ذكر فيه آل بيته وشجاعتهم وبطولتهم وما كان لهم على عهد الصليبيين في الشام من مغامرات ومن كتبه ( كتاب العصا ) ومنها ( لباب الآداب ) وكلها مطبوعة تشهد لأسامة بالعلم والنبوغ .

ومما أثره من مذكرة ابن العديم ماتقله للسابق ابي اليمن محمد بن الخضر المعري في حلب:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حلب معهد الصبا والتصابي فسقاها الوسميُّ ثم الوليُّ
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بحبها البحتريي

الى ان قال :

فلديها كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعي والفلسفي
غير أني أرى الاطايب شزراً وحليف الافلاس عنها قصيُّ

ومما اقتبسه أبيات لسنان صاحب الدعوة الاسماعيلية وهي

لو كنت تعلم كل ما علم الورى طراً لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب أن من يهوى خلاف هواك ليس بعالم
فاستحي ان الحق أصبح ظاهراً عما تقول وأنت شبه النائم

ترجم لسنان الملقب براشد الدين صاحب الوفيات فقال انه صاحب قلاع الدعوة ومقدم الباطنية بالشام واليه تنسب الطائفة السنانية ( او النزارية ) وهو الذي هدد صلاح الدين يوسف بقوله

ياذا الذي بقراع السيف هددنا لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده واستيقظت لأُسود البر أضبعه
اضحى يسد فم الأفعى بإصبعه يكفيه ما قد تلاقي منه أصبعه

وكتب مرة أخرى :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت بيوتك فيها واشمخر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها منا وفينا حديدها

أما الكتاب الثالث الباقي من تأليف ابن العديم فتاريخ زبدة الحلب في تاريخ حلب ( منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية نقلت عن مخطوطة الاستانة ) فالظاهر انه أحسن كتبه ولم يبيضه وفيه كلام على جغرافية بلاد حلب وبحيراتها وجبالها وتربتها وهوائها ومائها وخراجها وعادياتها ، وذكر فيه مدناً تعد اليوم من كيليكيا والجزيرة مثل اذنة والكنيسة السوداء وطرسوس وسيس والحدث الحمراء وملاطية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وسميساط ورعبان ودلوك الى غير ذلك من الحصون والبلاد . وتكلم على جيحان نهر المصيصة وسيحان نهر اذنة والعاصي نهر انطاكية وحماة والبردان نهر طرسوس . وبذلك عرفنا أن عمل حلب في عهده كان واسعاً جداً اكبر من مملكة من الممالك الصغرى لعهدنا . وفيه فصل من اجمل فصول الكتاب فيمن نزل من قبائل العرب باعمال حلب ومن كان قبلهم . ونقل شرط عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل قنسرين وهو ثمانية وأربعون درهماً على الغني وأربعة وعشرون على الوسط واثنا عشر على المدقع ، وما اشترطه عليهم للنازل بينهم من المسلمين والا يحدثوا كنيسة الا ما كان في أيديهم ولا يضربوا بالناقوس الا في جوف بيعة ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة ولا يرفعوا صليباً الا في كنيسة وأن يؤخذ منهم القبلي من الكنائس للمساجد ، وان يقروا ضيوف المسلمين ثلاثاً ، وألا يكون الخنازير بين ظهراني المسلمين ، وان يناصحوا المسلمين ولا يغشوهم ، ولا يمالئوا عليهم عدواً ، وان يحملوا راجل المسلمين من رستاق الى رستاق ، وألا يلبسوا السلاح ولا يحملوه الى العدو ، ولا يدلوا على عورات المسلمين ، فمن وفى وفى المسلمون له ، ومنعوه مما يمنعون به نساءهم وابناءهم ، ومن انتهك شيئاً من ذلك حل دمه وماله وسباء أهله وبرئت الذمة منه ، وكتب بذلك كتاباً .

واستفدنا من هذا التاريخ أن حلب كانت من أكثر المدائن شجراً فأفنى شجرها وقوع الخلف بين سيف الدولة بن حمدان وبين الإخشيد أبي بكر محمد بن طغج ، فان الاخشيد كان ينزل على حلب ويحاصرها ويقطع شجرها فاذا أخذها وصعد الى مصر جاء سيف الدولة وفعل بها مثل ذلك . وتكرر ذلك منهما حتى فني ما بها من شجر ، واتفق نزول الروم على حلب سنة ٣٥١ ففني شجر الشربين لذلك .

ورأينا له في هذا الكتاب تحقيقات تدل على تأنيه وبعد غوره منها أن ابن القارح ذكر في رسالته حكاية نسبها الى أبي الطيب قال وهذا عجيب فإن أبا الطيب ولد سنة ٣٠١ فكيف تصح هذه الحكاية . قال ابن العديم ولعله غير أبي الطيب ثم بعد حين كتب انه تبين ان الأمر كذلك ، وهذا المتنبي الذي ذكره المؤرخ هو أحمد بن عبد الكريم الأصفهاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول ابن الشحنة في تاريخ حلب : أن كمال الدين بن العديم اتقن في تاريخه واجاد واطال ولم يبيض منه الا اليسير وأطال فيه من ذكر الروايات والطرف فجاء بمعنى قليل في لفظ كثير ولم يسبقه أحد بتاريخ لها على الخصوص وسماه « بغية الطلب في تاريخ حلب » رتبه على حروف المعجم كما أخبرني بذلك الأمير النقيب بدر الدين الحسيني نقيب السادة الأشراف بالمملكة الحلبية رحمه الله ان مسودته كانت تبلغ نحو اربعين جزءاً كباراً والمبيضة تجيء كذلك لكن اخترمته المنية قبل اكمال الأمنية وتفرقت اجزاؤه قبل الفتنة التيمورية فلا تجد الآن منها الا نزراً ولم أقف منها الا على جزء واحد بخطه فيه بعض حرف الميم ...

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# بَعث قصيدتين

## من مرقدهما لعديّ بن الرقاع العامليّ

كان صديقنا الاستاذ خليل مردم بك قد نشر في مجلتنا هذه شعر عديّ بن الرقاع العاملي مع ترجمة له حسنة(*) ، وباطلاع الاستاذ المستعرب سالم الكرنكوي عليها كتب اليه كتاباً يذكر فيه انه كان قد جمع في الماضي ما تيسر له تحصيله من شعر عديّ ، وانه أرسله مع ترجمته المنقولة من تاريخ دمشق الى الاستاذ غويدي لعزم أحد تلاميذه على وضع اطروحة له في عديّ وشعره ، لينقدّم بهـا الى جامعة رومة في سبيل الحصول على درجة الحكمة ( الدكتورية ) في الأدب .

ثم ظفر الاستاذ الكرنكوي بنسخة غير جيدة من كتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنّى منقولة عن نسخة قديمة في المدينة المنورة كتبت سنة ٣٥٢ للهجرة ، وهو اليوم مكبّ على تصحيحه لينشره للناس ، وفي آخره عدة أشعار لقدماء شعرائنا بينها شعران في وصف الخيل لعديّ بن الرقاع ، وكان عديّ كطفيل الغنويّ مشهوراً بمعرفة الخيل واجادة نعتها ، وقد بعث العلاّمة الكرنكويّ بهاتين القصيدتين الفقيدتين لتنشرا في مجلة المجمع العلمي العربي فله جزيل الثناء ، وقد شرحتهما شرحاً كافياً لإفادة القرّاء ، والقصيدتان هما :

قال ابن الرقاع العاملي ، نخلط فيها بقول أبي دواد :

١ ولقد أغتدي بأجرد نَهدٍ لاحه بعد صَنعهِ (١) المِضمارُ

٢ أبدُ القصرَيْن (٢) ما قِيد يوماً فيعنّى بصرعهِ بَيطارُ

---

(*) راجع المجلد الخامس عشر من هذه المجلة تجد ( مختارات من شعره ) في الصفحة ٥٥٠ .

(١) الصنع بفتح الصاد مصدر صَنع الفرس يصنعه صَنعاً وصنعة اذا أحسن القيام عليه .

(٢) القصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، او اللتان تليان الشاكلة بين الجنب والبطن كما في التهذيب ، والصرع الطرح على الارض .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ حوشب الخلق أفرعت كتفاهُ عن محاني ضلوعهِ إجفارُ
٤ واذا اهتزّ مقبلاً زانَ منه أتلعٌ ما يُنال منه العذارُ
٥ ويُرى مُجفراً إذا هو ولّى في حماتيه شدةٌ وانبتار
٦ ونسورٌ لها حوافر منه لا يُرى في أرساغهنّ انتشارُ
٧ كالجلاميد بالمسيل تملاّ هنّ في الماء خضرةٌ واصفرارُ
٨ مَشقَ اللحمُ عن حماتيه مَشقًا فتعالى واشتدت الأوتارُ
٩ وعلى الزَوْر منبض القلب منه بجيازيم بينهـا أسيارُ
١٠ فهو طافٍ أقبّ كالمسد الأما سِ عاري الشوَى مُمرٌّ مُغارُ
١١ شاخص الحرتين يَنفخ منه قُطعَ الرَّبوِ مَنخرٌ تَثارُ

(٣) الحوشب: العظيم البطن ، الافراع : الارتفاع والانحدار ، والاجفار الاستكراش وانتفاخ الجنبين ويستقيم المعنى اذا اعتبرت ( عن ) مصحفةً عن ( في ) . (٥) المجفر : اسم مفعول من الاجفار وهو العظيم الجنبين ، والحماتان : اللحمتان في عرض الساق تزيان كالعصبتين من ظاهر وباطن والجمع حموات ، والانبتار : الانقطاع . (٦) النسور : الشواخص اللواتي في باطن الحافر . والانتشار : الانتفاخ في العصب للانقلاب . (٨) المشق : جذب الشيء ليمتد ويطول ، ومن الفرس المشيق اي الطويل الضامر والأوتار هنا أربطة العضلات . (٩) الزور : بفتح الزاي الصدر . (١٠) (طافٍ) : اسم فاعل من طفا يطفو يقال : طفا الثور الوحشيّ على الاكم والرمال اذا علاها ، ويقال مرّ الظبي يطفو اذا خف واشتد عدوه ، والمنيان يجوز وصف الجواد بهما ، (الأقبّ) ذو القبب وهو دقة الخصر وضمور البطن ، و (المسد) الحبل من الليف يُمسد أي يمرّ فتله ، وفي الكتاب : في جيدها حبل من مسد . والشوي الاطراف ، والجواد تكون قوائمه عارية من الشعر ، و (ممرّ ومغار) اسما مفعول من أمرّ الحبل اذا شد فتله ، يقال : حبل مغار الفتل وفرس مغار شديد المفاصل .

(١١) الحرّتان : الأذنان ، قال زهير :

قنواء في حرّتيها للبصير بها عتق مبين وفي الخدين تسهيلُ

و(قطع الرّبو) يقال أصاب الفرس قُطع بضم القاف وسكون الطاء مع ضمها أي ضيق نفس من العدو ، والرّبو البهر وانقطاع النفس ، وكأنما أراد الشاعر ان سعة منخريه المحمودة في الخيل تقضي عند ضيق النفس اذا عدا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٢ وهو شاحٍ كأن لحييه خوًّا قتب لاح منهما النجارُ

وقال أيضًا :

١ على كلِّ سَلهبة لاحها طرادُ المسالح أو سَلهبِ
٢ أشقّ شخيص كتيس الفلا قِ يستنُّ أو جؤذَر الحلبِ
٣ اذا ما تصعلك من حَشوةٍ فأصبح كالفرَدِ الأشعبِ
٤ أمِرَّت حوامِل اوصالِه كما تستمرُّ قوى القنبِ
٥ وأشرف حاركه والقطا طُ منه على طأةِ المركبِ
٦ على أن مجتمع القصرَيـ ـنِ ليس بغوطٍ ولا أحدَبِ
٧ كميت كأن على متنه سبائكَ من قِطع المذهبِ

النابغة الذبياني

(١٢) اسم فاعل من شحافاه يشحوه اذا فتحه ، والخوّ والجوّ الوادي والغائط من الارض . ولا معنى له هنا مضافاً الى القتب ، وهو اكاف البعير ، فلعله مصحف عن ( جنبا قتب ) ، ومثله قول الشاعر :

كأن فاها واللجام شاحيه جنبا غبيطٍ سلسٍ نواحيه

( لاح ) يقال كما مرّ : لاحه العطش لوحاً ولوّحه غيره وأضمره ، وكذلك السفر والبرد والسقم والحزن كما في اللسان ، فالمعنى واضح أي أضمر النجار جنبي القتب وقد شبه بهما اللحيين كما مرّ .

(١) السلهب : من الخيل الطويل وقوله ( لاحها طراد المسالح ) اي غيرها أو ضمرها والمسالح جمع مَسلحة وهي المرقب يكون فيه قوم ذوو سلاح يرقبون العدوّ ، والمعنى واضح .

(٢) الأشق : من الخيل الطويل ، و ( يستنّ ) ينشط والاستنان النشاط ومنه المثل المذكور : ( استنت الفصال حتى القرعى ) ، أي ان فرسه نشيط كتيس الفلاة وجؤذر الحلب ، وهو نبات ترعاه الظباء والشاة تسمن عليه فيشتد مرحها ، ومثله قول النابغة يصف فرساً :

بساري النواهضِ صلت الجبيـ ـنِ يستنّ كالتيس ذي الحلبِ

(٣) تصعلك : القرس طار وبره ، والحشوة السمن ، والفرد الاشعب : الثور ذو القرنين المتباعدين

(٥) لمل الصواب : القطاة ، وهي مابين الوركين ، وقيل مقعد الرديف من الدابة خلف الفارس ، والحارك أعلى الكاهل وقيل فرعه ، وطأة المركب ووطاءته سهولته . (٦) النوط : في الغائط اي المطمئن . (٧) المذهب : اي المدوّه بالذهب ، ويقال كميت مذهب للذي تعلو حمرته صفرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# الغوطة (١)

## جزئيات المحاضرة

(١) الغوطة وحدودها (٢) بساتينها وقراها (٣) الأبنية الأزلية فيها (٤) ميزانها
(٥) سكانها ولسانهم وأديانهم (٦) اثمارها وزروعها (٧) أنهارها وريها
(٨) مدنيتها (٩) صناعاتها الزراعية (١٠) متنزهاتها (١١) أدبها

سبق لي مساء اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط الماضي (١٩٤١) أن حدثت المستمعين الى مذياع (راديو) الشرق في بيروت ببعض ما عرفت عن غوطة دمشق، والآن أريد أن أتوسع في هذا الموضوع اللذيذ المفيد بأطول مما كنت تحدثت، وأتوخى أن آتيكم بما عرفته من طريق الدرس والتجارب الشخصية.

### الغوطة وحدودها

اشتق اسم الغوطة من الغائط، والغائط المطمئن من الأرض، والجمع غيطان وأغواط، وقال ابن الأعرابي: الغوطة مجمع النبات. وورد اسم الغوطة بلفظ التثنية في الشعر القديم والحديث قال ابو المطاع بن حمدان:

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها ... فلي بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء الا استحفني ... الى بردى والنيربين حنين

والنيربان واحدهما النيرب، وهي قرية كانت على نصف فرسخ من دمشق قال ياقوت: إنها أنزه موضع رآه. وفي مراصد الاطلاع: (إن النيرب قد جاء في الشعر مثنى) فلعل ياقوت فهم منه أن هناك موضعاً آخر وليس كذلك. فان الشاعر قد ثنى الغوطتين وليس إلا غوطة، كما ثنوا الغيضتين قال ابن منير:

سقاها وروّى من النيربين ... الى الغيضتين وحمورية

---

(١) محاضرة القاها الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في السادس والثالث عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ «٢ و ٩ ايار سنة ١٩٤١» في ردهة المحاضرات.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى بيت لهيا الى برزة دلاح[1] مكفكفة الأوعية

وللنيرب اليوم يقال أرض النيرب وهي في جوار قرية المزّة . والغوطتان على ما يظهر هما الغوطة الغربية والغوطه الشرقية . وقال بعضهم الغوطتان الغوطة الشمالية والغوطة الجنوبية أو القبلية .

وقيل انه كان يطلق على الغوطة اسم ( البريص ) وقد ورد في شعر حسان بن ثابت يمدح بني غسان بقوله :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية المعُم المخول

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يُصفق بالرحيق السلسل

قال ياقوت : وهذا يدل على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها ، ألا تراه نسب الأنهار الى البريص ، وقال يسقون ماء بردى ، وهو نهر دمشق ، من ورد البريص . ورواية البلاذري في فتوح البلدان أن أبا عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد يوم فتح دمشق التقيا بالمقسلاط وهو موضع النحاسين وهو البريص الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول : يسقون من ورد البريص عليهم . البيت — لا تعطي العبارة أن البريص هو بردى بل يفهم منها أنه مكان آخر .

لم يحدد القدماء الغوطة ، ولم يعرفوها التعريف المطلوب . فقال المقدسي : إن مساحتها مرحلة في مثلها . وقال القزويني : إن طولها مرحلتان في عرض مرحلة . وقال ياقوت : إن استدارتها ثمانية عشر ميلاً . وقال شيخ الربوة : إنها من حيز دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلا[2] . وقال ابن

(١) سحابة دلاح كثيرة الماء : ج دُلح (٢) المرحلة مسيرة يوم على الراكب بالسير المعتدل والميل مئة الف اصبع إلا اربعة آلاف اصبع ، او ثلاثة او أربعة آلاف ذراع ، بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء ، او اثنا عشر الف ذراع بذراع المحدثين . وعرفوا الفرسخ أنه ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر الف ذراع أو عشرة آلاف . والذراع أيضاً يختلف باختلاف الأقطار والأعصار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طولون الصالحي في كتابه ( ضرب الحوطة على جميع الغوطة ) إن قرية زبدين آخر حدودها ، وهو صحيح ، ولم يذكر حدها من الشرق والغرب . وزعم أن (حران العواميد) من الغوطة وهي من قرى المرج ، وبينها وبين الغوطة أربع ساعات على الراكب ، وهكذا عدّها ياقوت وهو غير صواب . وذكر البكري في ( معجم ما استعجم ) ان قرية دمر من الغوطة وعدّ الدوّ من الغوطة وقال انها تلقاء البضيع [١] .

والظاهر أن القدماء قدروا الغوطة على هذه الصورة بحسب ما رآها كل واحد في عصره ، وكانت تتسع وتنقبض تبعاً للكائنات الأرضية والسماوية . وقد قال صديقنا العلامة الأثري دوسو [٢] إن الغوطة تطلق على الصقع الذي يُروى حول دمشق بين الجبل والبحيرتين (بُحيرة المرج وبحيرة الهيجانة ) حيث تنصب فضلات الأنهار ، وأن الغوطة الآن اذا أُطلقت يراد بها الكورة التي فيها الحدائق والبساتين أي أن المرج غير داخل في الغوطة . وقال بعض القدماء إن الشام الثالثة الغوطة ، ومدينتها العظمى دمشق . وقال مرتين إن الغور الشرقي يكون سهل دمشق الذي يمتد من أقبال [٣] الجبل الشرقي الى بادية الشام أو بادية تدمر ، فعند تخوم هذه البادية غوطة أريضة من أجل ما أحدثت يد الطبيعة تشقها الأنهار

(١) كذا البضيع مصغراً ويروى بالفتح في شعر حسان بن ثابت .

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

والبصيع بالصاد المهملة وقال إنه جبل بالشام أسود . وجبل البضيع يعني جبل الكسوة المشرف على الغوطة . هذا ما قاله ياقوت . وروي في التاج عن الازهري أنه رأى جبل البصيع وقال انه جبل قصير أسود بأرض البلينة فيما بين تسيل وذات الصنمين بالشام من كورة دمشق . وفي وسط الكسوة جبل يناوح جبل المانع اسمه المضيع ( بالميم والضاد والياء المشددة ) ولعله هو الاقرب الى الصواب . والبصيع أو البضيع هو ذاك الجبل الذي يقع في أول حوران

(٢) في كتابه طوبوغرافية تاريخية لسورية في الأدوار القديمة وفي القرون الوسطى .

*Dussaud : Topographie historique de la Syrie antique et médiévale .*

(٣) الأقبال جمع قبل والقبل اللثز من الأرض أو رأس كل أكمة وجبل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكثيرة ، وتكسوها الخضرة ، ويغشيها النبات الغض الموفور ، عرضها نحو ستين كيلو متراً ، وليس لهذا النجد البهيج من العلو الا ٧٣٠ متراً عن مساواة البحر . وقوله ان عرضها ستون كيلومتراً فيه نظر ، ولعله يريد طولها ولا يمكن أن يكون طولها كذلك إلا إذا تجوزنا وأدخلنا فيها المرج .

ويستنتج من كتب الجغرافيا والتاريخ ودواوين الشعراء وأرباب الرحلات ومصطلح القوم لعهدنا أن الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء ، وكان من الأرض المطمئنة التي تُروى من نهر بردى ، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة ، وعلى هذا فحدُّ الغوطة يبدأ غرباً من فُوَّهة وادي الربوة فالمزة فداريا وينتهي بالجنوب بصحنايا والأشرفية وسبينة وسبينات وحوش الريحانية . ومن الشرق بالريحان والشفونية وحوش مباركة وحوش الأشعري وحوش المتبن وحوش خرابو والفضالية والنشابية وبيت نايم ، وينتهي في الشمال بجبلي قاسيون وسنير ، وسنير هو جبل قلمون ، ويسمونه لهذا العهد أيضاً جبل الحلو ، وهو فرع من فروع لبنان الشرقي *Anti-Liban* ويشرف الجبل الأسود على الغوطة من الجنوب ، ومن الشرق أرض المرج ، وهو اقليم متسع تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف الغوطة وهو أيضاً في نجد منخفض من الأرض ، وأشجاره قليلة ، وهو خاص بزراعة الحبوب في الشتاء والذرة في الصيف .

ويقدر طول الغوطة بنحو عشرين كيلو متراً وعرضها يختلف بين ١٠ و١٥ كيلو متراً تقريباً . وقد تمت مساحتها في العهد الأخير فبلغت ( ٤٠٦٠٠ ) هكتار أي نحو خمسة وستين ألف فدان ، والفدان ستة دونمات وكسر ، والدونم مبذر مدّ من الحنطة ، والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً والدونم ٩١٩ متراً مربعاً . وتدخل مدينة دمشق في هذه المساحة .

## بساتين الغوطة وقراها

يقول ابن شداد : إن الغوطة تشتمل على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرماً . وقال شيخ الربوة من أهل القرن الثامن إن بساتين دمشق مائة واحد وعشرون الف بستان تسقى بماء واحد . وقال كاتب چلبي من أهل القرن الحادي عشر في كتابه « جيانما » : ان في الغوطة مائة وثلاثين ألف بستان . وقال ابن إياس إنها بساتين كلها . وهذا الوصف الأخير أقرب الى الحقيقة ويصدق عليها في العهد الأخير خاصة ، وذلك بعد أن عرف الغوطيون فائدة الأشجار ، وأخذت ثمراتها تصدر الى القاصية والدانية من البلاد . وفي كل سنة تزيد بساتين دمشق مئات ، ولا يستبعد أن تبطل بعد نصف قرن معظم زراعة الحبوب من الغوطة ويستعاض عنها بالأشجار المثمرة وغير المثمرة .

حدّث أحد الشيوخ أنه كان في طفوليته اذا وقف مع أهله أمام قبة سيدي أبيّ ، على مقربة من سور البلد في الجنوب ، يرى قريتي جرمانا والمنيحة من بعيد ، وذلك لأن هذه الحدائق التي نراها اليوم تحجب النظر ان يسرح مئة متر ، كانت خالية من الشجر ، وقد غدت اليوم غابات غبياء ، وأدرك الجيل الذي قبلنا أن قريتي الحديثة وبالا كانتا كقرى المرج ، تزرعان الحبوب والخيار والقنب فقط وأشجارهما قليلة جداً وربما عدتا من المرج وهما اليوم من أكثر قرى الغوطة شجراً مختلفاً أنواعه .

ويقول الظاهري في زبدة كشف الممالك ، وهو من أهل القرن العاشر : وقيل إن في اقليم الغوطة ثلاثمائة قرية ونيفاً وبها مدن صغار وبلدان تشابه المدن . وقوله هذا دليل على أن الغوطة كانت عامرة جداً على عهد المماليك وأصابها الخراب زمن الترك العثمانيين ، ولا سيما في القرنين الأخيرين من حكمهم ، فخرب معظم قراها ، وانضمت أرضها الى القرى المجاورة ، وقلّ سكانها ، واضمحلّ عمرانها ، وما يشاهد من الدِّمن والتلال في أرجائها أصدق شاهد على ذلك ، وما كان السبب الأول في خرابها غير توالي الأوبئة والطواعين والزلازل والمجاعات وتتابع غارات البادية على المعمور ، واعتداءات جيش الدولة على المستضعفين . على أن قول الظاهري : انه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان في الغوطة اكثر من ثلاثمائة قرية لا يخلو من مبالغة ولو ضممنا الى الغوطة المرجين ما بلغت قراها هذا المقدار .

وذكر ابن طولون الصالحي في القرن العاشر أن بالغوطة سبعين قرية وبعضها الآن دارس . وقرى الغوطة اليوم ثنتان وأربعون قرية ، وأهمها من حيث وفرة السكان ( دومة ) حاضرة الغوطة الشمالية و ( داريا ) حاضرة الغوطة الجنوبية . ويزيد سكان دومة على ثمانية عشر ألفاً وسكان داريا على اثنى عشر ألفاً ، وكل من قربتي ( عربيل ) و ( جوبر ) لا يقل عن ثمانية آلاف ، وكل من ( حرستا ) ( وكفرسوسية ) و ( المزّة ) لا يقل عن ستة آلاف . أما سائر القرى فيختلف سكانها من بضع عشرات من الأنفس كالحديثة وبالا والافتريس الى بضع مئات ، ومنها ما يبلغ الألف والألفين أو الثلاثة أو الأربعة كحمورية و كفربطنا وجسرين والمنيحة ( المليحة ) وجرمانا وصحنايا وسقبا وزملكا .

وإليك أسماء قرى الغوطة بأجمعها : دومة ، داريا ، عربيل ( عربين ) جوبر ، حرستا ، كفرسوسية ، المزّة ، مسرابا ، مديرة ، بيت سوا ، المحمدية ، حمورية ، كفربطنا ، جسرين ، الافتريس ، حزّة ، زملكا ، عين ثرماء ( عين ترما ) ، القابون ، برزة ، الحديثة ( حديثة الجرش ) المنيحة ( المليحة ) بالا ( القديمة والجديدة ) زبدين ، البلاط ، الخيارة ( خيارة نوفل ) ، عقربا ، جرمانا ، دير مجدل ، قبر الست ، سبينة ، سبينات ، حوش الريحانية ، حجيرة ، بيت سحم ، ببيلا ، يلدا ، القدم ، الأشرفية صحنايا ، البويضة ، بلاس . واذا جمعت أيضاً هذه البساتين المحيطة بدمشق مثل بساتين الصالحية والربوة والمزّة وباب السريجة والقنوات والميدان والشاغور والعنابة تألف منها بضع قرى .

ومن القرى التي كانت على أبواب دمشق فدخلت فيها عندما توسعت الى ماوراء السور : الصالحية والعقيبة وميدان الحصا والصفوانية ، وتحرف اسم هذه اليوم فيقال لها الصوفانية ، ذكر ياقوت أن الصفوانية من نواحي دمشق خارج باب توماء من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أقليم حرلان ، وان توماء اسم قرية ، واليها ينسب باب توماء ، بالهمزة في آخرها ومنه اسم توماء لا توما . وذكر أيضاً قينية وقال إنها كانت مقابل الباب الصغير وقال ( الحميريون ) محلة بظاهر دمشق على القنوات وكانت على طريق كفرسوسية ومثلها اللؤلؤة محلة كانت خارج باب الجابية ، و ( طرميس ) من قرى دمشق و ( الأوزاع ) موضع مشهور بربضها سكنه في صدر الاسلام بقايا من قبائل شتى ، واليهم ينسب الامام الأوزاعي دفين بيروت . ومن القرى الداثرة في الغوطة المصيصة كانت شرقي بيت لهيا ، وعالية وعويلية عند القطائع ذكرهما ابن جبير في رحلته بالعين المعجمة ( بالغين ) وهما موضعان قرب مسجد الأقدام على ميلين من مدينة دمشق . وذكر ابن طولون الصالحي قرية ( برنابا ) وقال إنها خراب فوق سقبا . وقال ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق إن أراضي ( فذايا ) و ( حلفبلتا ) و ( الخامسين ) مصاقبة للبلد وهذه الثلاث دثرت وكذلك « راوية » وكان بها قبر أم كلثوم وقبر مدرك بن زياد الفزاري الصحابي . وفذايا في جنوبي مقبرة اليهود . وقد وردت أسماء بعض قرى الغوطة في شعر حسان بن ثابت قبل الاسلام عندما مدح آل جفنة قال :

لمن الدار أقفرت بمعان ... بين شاطي اليرموك فالصمان
فالقريات من بلاس فدار ... يا فسكاء فالقصور الدواني
فنقا ( جاسم ) فأودية ( الصفـ ... ـر ) مغنى قبائل وهجان
ذاك مغنى لآل جفنة في الده ... ـر وحقاً تعاقب الأزمان
ثكلت أمهم وقد ثكلتهم ... يوم حلوا بحارث الجولان

وبلاس وداريا من قرى الغوطة وسكاء بينها وبين دمشق كما يقول ياقوت أربعة أميال في الغوطة ، والصحيح أنها ليست منها وهي موجودة اليوم . وقد أضاف صاحب معجم البلدان الى الغوطة قرى ليست منها مثل دير أبان قال انها قرب قرحتا وهذه قرية معروفة تعد مرجية ، ومثلها عذراء ، والنمرانية ناحية الوادي وذكر



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حرلان وتلفيانا وسام والقوينصة والقصرين ، عاداً لها من الغوطة وكل ذلك داثر لعهدنا . ومن قراها ( جَدَيا ) كانوا يسمونها على عهد ياقوت جدْيا ولا يعرف أين مكانها . ومن القرى ما كان صغيراً منذ قرون فعظم واتسع مثل جسرين كانت بلدة كبيرة فأصبحت اليوم متوسطة ، ومنها ما كان كبيراً فصغر مثل البويضة وزملكا وبلاس وعقربا .

وكان في بعض قرى الغوطة اسماء تبدأ بكفر والكفر القرية بالسريانية ، ولم يبق منها الآن سوى كفرسوسية وكفربطنا . وأسماء بعض القرى سريانية محضة مثل برزة — بيت الأرز . جرمانا — عظمي . جسرين — جسور . حجيرة — عُرج . حرجلة — جراد . حرستا — خشنة . حزّة . حُفر . داريا — دُور . زملكا — رواق الملك ومصيفه . سبينة — مبتاعون . سقبا — شيخ . شفونية — أرض للزرع . عربيل — غربال . قابون — عمود . كفربطنا — قرية الجنين . مديرة — طبقات البناء . مسرابا — مشرب . بلدا — ولد . ومن أسمائها ما هو من أصل عربي مثل المنيحة ، المحمدية ، التدم ، عين ثرماء ، الحديثة ، الأشرفية ، البويضة ، الخيارة ، البلاط .

ومن قراها ما كان يبدأ بفندق أو قصر أو طيرة أو بيت ، مثل فندق بني عبد المطلب ، وفندق الراهب ، وقصر اللبان ، وقصر بيت لهيا ، وقصر بني عمر ، وقصر حجاج ظاهر باب الجابية . قال زين الأمناء ابن عباد : بدمشق عدة قرى يقال لكل واحدة منها طيرة بني فلان ، والنسبة اليها طيري . ومثل بيت الآبار كانت كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى في رواية ياقوت . وكانت هي وداعية والحارثية معروفة الى القرن التاسع . وذكر ياقوت أيضاً في الغوطة بيت أرانس وبيت البلاط وبيت سابا وبيت قوفا وبيت لهيا ، وتعدُّ زملكا من اقليم بيت لهيا . وكانت بيت لهيا في عهد القرماني من أهل القرن الحادي عشر خراباً ليس فيها دار ولا آثار ، وداعية كانت قرية بين حمورية وبيت سوا ؛ وكانت كفربطنا من اقليم داعية ، واليها ينسب نهر الداعياني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي الغوطة اليوم أنهر تنسب لإحدى القرى ، دثرت القرية وبقي اسم نهرها ، مثل قناة دير بشر المارة بحوش بلاس ، تنسب الى بشر بن مروان الأموي ، ومثل قناة بيت أرانس ، وكان في بيت أرانس قبر مَرْثد دثار بن الحصين من الصحابة والقناة تمر بأرض الشاغور ولا أثر لبيت أرانس ، ومنها نهر حُردان ، ونهر حردان نسبة لقرية كانت فوق قرية سقبا بقي اسم نهرها الى اليوم فقط ، هكذا يلفظونه . والحرلان كما وصفها علماء تقويم البلدان ناحية بالغوطة فيها عدة قرى وبها قوم من أشراف بني أمية ولعلها حردان بعينها .

ويؤخذ من منشور صادر عن نور الدين محمود بن زنكي في سنة ٥٦٩ أن حي الميدان والشاغور والمزاز وقبر عاتكة والشويكة والقنوات وسوق صاروجا والعقيبة والعمارة وغيرها من الأحياء الخارجة عن السور كانت في القرن السادس مزارع ومصايف وحدائق ومتنزهات وهي اليوم من أحياء العاصمة . وروى ابن عساكر عن مضر بن العلاء أنه كان يعرف من زقاق فذايا الى قرية تعرف بواسط في الغوطة حوانيت ومنازل . وحكى عن شيوخه أنهم قالوا إن العمران يتصل بهذا حتى يصير سوق القمح في قرحتا ( وقرحتا على ساعتين من دمشق ) . وقال محمد بن أبي العلاء إنه كان على نهر يزيد رواشن مشرفة عليه ، وكان أكثرها ظاهر البلد منازل للقبائل وقرى متصلة وأسس متقاربة ، فخرب ذلك في الفتن والحروب والحصارات ، وتمادى عليها الخراب الى عهده . وذكر من منازلها القبلية فندق بني عبد المطلب عند سوق الدواب والراهب قبلي المصلى عن يسار المار قبلي المسجد الجديد بعد مسجد فلوس ومحلة السفليين عند المسجد الجديد والشمامسة عند المسجد القديم وعالية وعويلة قبلي مسجد القدم ، والقطائع يقال لها ريح حوران قبلي الشاغور وغير ذلك ، واما ما كان شمالي البلد فسطرا والفراديس والأوزاع والصدف ومقرا وشعبان وحرج الأشعريين وغير ذلك . ومن الغرب لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة وقينية وصنعاء والحميريين ومنازل بني رعين وغير ذلك سوى ما كان في شرقي البلد من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غربي الغوطة والمرج من القصور والدور والمنازل المعروفة والأماكن المذكورة مما عفا رسمه وبقي ذكره . قال وما من موضع يحفر فيه الا وجد فيه أثر العمارة من سائر نواحي البلد من قبليه وشرقيه وشآمه وغربيه ، والله يحرس ما بقي منها ويحميه بمنه ولطفه اه

ومن أماكنها الداثرة الدراجية وهو برج الدراجية على باب توما ، كان لعبد الرحمن ويقال لعبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان وكاتبه على الرسائل في خلافته . ومنها طرميس والستي وسام وأرزونا قرية قرب عربيل ، وبيت الأبيات كانت محل طاحون الشنان ، وبيت الأبيات كما في تحقيقات السيد دوسو هي في الغرب تدخل فيها قرية النيرب ، وبيت الآبار قرب جرمانا ومنها بيت سابا . ومن قراها الداثرة يعقوبا قرية صغيرة كانت غربي حزّة

## بعض عاديات الغوطة وآثارها

أهم عاديات الغوطة أديارها وفي كتب الفتوح أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صالح أهلها على خمس عشرة كنيسة كانت في دمشق فنزلوا له عن نصف كنيسة القديس يوحنا أي الجامع الأموي كان المسلمون أخذوا نصفه يوم دخلوا دمشق . وكان في الغوطة دير يونا « يوحنا » و « دير محمد » كان عمر بن عبد العزيز يراه أهلاً للخلافة ، واليه تنسب المحمديات فوق الأرزة ودير محمد كان عند المنيحة من اقيم بيت الآبار ، و « دير الحنابلة » كان بسفح قاسيون و « دير هند » كان في مقاطعة بيت الآبار و « دير بشر » كان عند حجيرة ينسب الى بشر بن مروان ، و « دير العالية » نزله مروان بن محمد . ومن الأديار الداثرة « دير حنينا » و « دير الماطرون » و « دير قبيس » و « دير سمعان » قال القرماني إنه كان في الغوطة و « دير خالد » ويعرف « بدير صليبا » و « دير زكي » . ومر بهذا الدير عبد الله بن طاهر من اعظم وزراء المأمون ومعه اخ له فشربا فيه وخرجا الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مصر فمات أخوه بها ، وعاد عبد الله فنزل في ذلك الموضع فذكر أخاه فقال :

أيا سروتي بستان زكي سلمتما وغال ابن أمي نائب الحدثان
أيا سروتي بستان زكي سلمتما ومن لكما أن تسلما بضمان

ومن الأديار « دير البخت » على فرسخين من دمشق ويسمى « دير ميخائيل » كان عبد الملك بن مروان قد ارتبط عنده بختاً وهي جمال الترك فغلب اسم البخت عليها . ومن أديارها المشهورة « دير مران » في سفح جبل قاسيون المطل على دمشق من الغرب ، كان يشرف على مزارع الزعفران من أرض اللوان . وبقي هذا الدير عامراً الى القرن السابع للهجرة ، ولطالما قصده الخلفاء والأمراء والشعراء وقيلت فيه القصائد والمقطوعات . ولأبي الفرج عبد الواحد الببغا من شعراء اليتيمة قصيدة قالها فيه لما قصده للتنزه . قال إنه فتح مناظر ذلك البيت الى فضاء ادى اليه محاسن الغوطة ، وحباه بذخائر رياضها من المنظر الجناني ، والنسيم العطري ومما قال :

ويوم كأن الدهر سامحني به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا الى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر النسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجري الى نهر
وفي الهيكل المعمور منه انتزعتها وصحبي حلالاً بعد توفية المهر
ونزهت عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها أشرب التبر بالتبر

وفي معجم ما استعجم : أن عقبة مُرّان مشرفة على غوطة دمشق تنبت شجراً باسقاً تتخذ منه القنا والرماح وهو المران . ولعل الدير سمي باسم هذه الشجرة . وكان في الغوطة ( دير بولس ) و ( دير بطرس ) او فطرس كانا في ظاهر دمشق في نواحي بني حنيفة ، لا يبعد احدهما عن الآخر كثيراً ، وإياهما عنى جرير بقوله :

لما تذكرت بالديرين أرّقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقلت للركب اذ جد الرحيل بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس

ويبرين موضع في الأحساء من جزيرة العرب ، وباب الفراديس هو الذي نطلق عليه اليوم باب العمارة احد ابواب دمشق .

قال ابن بطوطة وفي شرقي البلد ( دمشق ) قرية تعرف ببيت الاهية [1] ( لميا ) وكانت فيها كنيسة وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة المنظمة بأعجب نظام . ولم تبق لعهدنا قرية تبدأ باسم دير سوى « دير بجدل » وكانت هذه الأديار في الاسلام منازل المسافرين ، ومثوى المتنزهين والمرتاضين ، يقصدها الناس فيجدون فيها صدوراً رحبة ، ونُزُلاً طيباً ، وشراباً لذيذاً ( راجع مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري وكتاب الديارات للشابشتي ومعجم البلدان لياقوت ) .

والغالب ان القرى التي يبدأ اولها بدير كانت اولاً ديراً فقط . ثم توفرت بجانبه الأرض المغروسة والمزروعة ، وكثر القائمون على حراثتها وزرعها ، فأصبح الدير على توالي الأيام قرية برأسها . كما كان الحال في كثير من المدن والقرى في بلاد الغرب خلال العصور الوسطى ، استحال الدير بلداً مع مرور الأيام .

## ميزات الغوطة

اجمع من وصفوا الغوطة على توالي القرون انها شجراء ، وان فيها قرى كالمدن ، وان اهلها كأهل الحاضرة بعاداتهم وازيائهم . ولولا الغوطة ما كانت دمشق من اجمل مدن العالم ، ولولا دمشق ما كانت الغوطة إلا صحراء خالية تعيث البادية في ربوعها . وعيث البادية في المعمور من بلاد الشام قديم جداً على ما يظهر ، لنزول العرب بلاداً مجدبة من الجزيرة تقحط أكثر السنين فيضطر أهلها الى الانتجاع ، فلا يرون أمامهم غير بلاد حوران المتاخمة للغوطة ، وإذا لم يجدوا مراعي لمواشيهم في الجولان والجيدور والبثنية والصفا واللجاة يعرجون على الغوطة بالضرورة ، ولذلك أقام الرومان مخافر عظيمة على سيف البادية لا تزال الى اليوم بعض آثارها

(١) بيت الاهة كانت حارة في دمشق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ماثلة ، وولوا عليها رجالاً من بني غسان من متنصرة العرب ليحموها من غارات اهل البادية ، فكان أمراء الغساسنة حماة الغوطة وما اليها من المعمور ، والوسطاء بين قومهم العرب وأصحاب البلاد من الرومان .

ولما جعل بنو أمية من دمشق عاصمة ملكهم العظيم ، كان للغوطة حظ جزيل من عنايتهم ، فنزلها رجال منهم وعمروا فيها القصور ، وأنشأوا المزارع ، وشقوا الجداول ، وعنوا باستثمارها واستنباتها . ولولاهم ما حازت الغوطة هذه الشهرة ، ولولاهم ما كانت دمشق على هذه العظمة ، وما دمشق كما قال العلامة لامنس إلا حسنة من حسنات بني أمية . نعم دمشق مدينة للأمويين لاختيارها عاصمة لهم ، وهم أحسنوا ولا جرم الاختيار ، فهي وغوطتها سواء .

ولابن أبي العجائز كتاب فيمن سكن الغوطة من بني أمية نقل عنه المؤرخون والجغرافيون . قال ابن قيس الرُقيات :

أجارك الله والخليفة بالغو طة داراً بها بنو الحكم
المانعو الجار أن يضام فما جار دعا فيهم بمهتضم

وقال ايضاً :

أقفرت منهم الفراديس فالغو طة ذات القرى وذات الظلال

قالوا لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام رأى الغوطة ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين فتلا قوله تعالى : ( كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين ) . ثم أنشد قول النابغة .

هما فتيا دهر يكر عليهما نهار وليل يلحقان التواليا
إذا ما هما مرا بحي بغبطة اناخا بهم حتى يلاقوا الدواهيا

قال ابن كثير هذا يقتضي بادئ الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك فانه لم يقل أحد انه دخلها .

ويروى ان امير المؤمنين المأمون العباسي اقسم يوماً وقد نظر إلى اشجار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغوطة ونباتها انهـا خير مغنى على وجه الأرض وقال : عجبت لمن يسكن غيرها كيف ينعم مع هذا المنظر الأنيق الذي لم يخلق مثله .

روى ابن عساكر ان ملوك بني العباس لم يزالوا يختفون إلى دمشق طلباً للصحة وحسن المنظر منهم المأمون فانه اقام بها واجرى اليها قناة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران وبنى القبة التي في اعلى الجبل وصيرها مرقباً يوقد في اعلاها النار لكي ينظر إلى ما في عسكره ، فاذا جن عليه الليل كان ضوؤها إلى ثنية العقاب وإلى جبل الثلج .

ومن اعظم ميزات الغوطة كون ارضها مقسمة بين اهلها تقسيماً طبيعياً في الجملة ، فلا ترى فيها زراعات كبيرة إلا نادراً ، وهذه مهما بلغ من سعتها تدار بمثل العناية التي تدار بها الزراعات الصغيرة . هكذا كانت في معظم ادوار التاريخ الاسلامي ، حتى ان سيف الدولة بن حمدان لما طمع ان يضم الغوطة إلى الاملاك السلطانية كاتب اهل دمشق ملك مصر فجاء في جيشه وطرد سيف الدولة عن الغوطة وعاصمتها ، وحرم ابن حمدان ملك دمشق لأنه حاول ان يجعل من الغوطة مزرعة واحدة ملكاً له . وكيف يرضى الغواطنة عن ذلك وهم يعتزون بها وينعمون ويسعدون ويقولون في امثالهم « شبر بإلية الخروف ولا ذراع بذنب الثور » ويقولون « قلّ بتغلّ » أي قليل من الأرض الجيدة تحسن تعهدها أعود عليك من ارض واسعة بائرة . ومن يملك في الغوطة فدانين أو ثلاثة فهو سعيد مرفه ، ومن مزاياها أن أهلها يجزئهم ما تنبته لهم أرضهم من المواد الاولية ، ولو كان عندهم الحديد والفحم الحجري لما احتاجوا الى شيء في صناعاتهم وزراعاتهم . ومن مزاياها أنها لكثرة أنواع محاصيلها من شجرها وأرضها وبساتينها وحقولها اذا اصابتها آفة سماوية في بعض السنين تستعيض من الأصناف الباقية ما تعيش به سنتها .

## سكان الغوطة ولسانهم وأديانهم

دخلت اللغة العربية كورة الغوطة قبل الاسلام بقرون ، لنزول بني غسان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العرب فيها ولأن تجار العرب ما انقطعوا عن نزول هذه الديار منذ عرف التاريخ. ولما جاء خالد بن الوليد مدداً لجيش الشام من العراق عن طريق البادية غزا بني غسان في الغوطة يوم فِصحهم ، وركز العقاب راية الرسول عليه الصلاة والسلام في الثنية المطلة على الغوطة ، وهي هذا الجبل الهرمي البادي من الشمال للأنظار فسميت الثنية ثنية العقاب .

قال اليعقوبي إن أهل كورة الغوطة غسان وبطون من قيس وبها قوم من ربيعة ، وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب : ومن كلب بارض الغوطة عامر ابن الحصين بن عُليم وابن رباب المعقلي . فبعض سكان الغوطة اذاً من أصول عربية ، واكثر من نزلها اول الفتح كانوا من العرب دع من كان فيها من الغساسنة وغيرهم قبل الاسلام . ولذلك كان سكان الغوطة يشتركون في معظم الاحداث التي تحدث في دمشق سياسية كانت أو غير سياسية ، على ما عرف في العرب من النجدة والاريحية ، ويصهر بعض الدمشقيين الى الغوطيين ، ويتزوج بعض الغوطيات من أهل دمشق .

اصبح سكان الغوطة على توالي القرون مسلمين من اهل السنة ، وليس بها لعهدنا سوى بضع مئات من المسيحيين في داريا وعربيل وصحنايا والأشرفية ، وفيها مئات من المسلمين الدروز في جرمانا وصحنايا والاشرفية ، وكان جميع أهل قرية جوبر يهوداً إلى ما بعد القرون الوسطى ، فانتقلوا الى دمشق في زمن لم نعرفه ، ولم يبق لهم فيها إلا كنيس مقدس عندهم يزورونه ويقيمون فيه صلواتهم . ويقول دوسو إنه في عهد الشفاليه دارفيو *Le chevalier d'Arvieux* من اهل القرن الثامن عشر كانت جوبر يسكنها اليهود . وقد استغرب ابن طولون الصالحي ان اهل جرمانا تيامنة ، قال : وهذا عجب من كونه في هذه الغوطة فان اهلها جميعهم من اهل السنة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس للغوطة احصاء يركن اليه ولا يقل اهلها عن مئة الف انسان على اقل تقدير . وقد نموا في العهد الاخير نمواً هائلاً لقلة الأوبئة ، وانقطاع الحروب منذ زهاء خمس وعشرين سنة ، وما اظنها كانت قبل خمسين عاماً اكثر من عشرين الفاً ، وكان اهلها الى اواخر القرن الماضي يبتاعون العبيد ليعملوا معهم في الارض وذلك لقلة اليد العاملة في ذاك العهد .

ويقل جداً من هاجر إلى اميركا وغيرها من اهل الغوطة ، على نحو ما يكون من سكان الجبال المجاورة الذين غادروا مساقط رؤوسهم بالالوف . وندر من يرتحل عن أرضه من الغواطنة ، مهما ضاقت به سبل العيش ، اللهم إلا للتجارة موقتاً . وما عهد أن مات أحد جوعاً في الغوطة . ويروى أن عيسى بن مريم عليهما السلام قال وقد أشرف على الغوطة : يا غوطة إن عجز الغني أن يجمع منك كنزاً ، لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً .

قلت مرة في وصف الغوطة وأهلها : سلام على سكونك في الليالي الظلماء والقمراء ، ربيعاً كان أو صيفاً او خريفاً أو شتاء ، وهنيئاً لمن يستمتعون بالنظر إليك من الصباح الى المساء ، وينعهدونك بالحرث والكرث والتنقية والزرع والارواء ، سواء عندهم حمارّة القيظ وصبارّة القر ، وظلمة الليل وشمس النهار ، سلام عليهم إنهم مثال النشاط في المزارعين ، لا يضنون على أرضهم باوقاتهم وأتعابهم ، وهي تجودهم ضروب الخيرات كلما جودوا زراعتها ، وتزيدهم بركات على بركات كلما رعوها فأحسنوا رعايتها ، وهم مهما صهرت جسومهم حرارتها ، وصفرت سحناتهم رطوبتها ، بيض الوجوه شم الأنوف ، لأن رزقهم مناط أيديهم العاملة ، لا يعتمدون في تحصيل قوتهم على غير قوتهم ، ولا يتكلون على غير من ينزل الغيث وينمي الزرع ويدرّ الضرع . في هذا الريف العجيب تقرأ سور العدل الإلهي في تقسيم الأرزاق ، فلا فقر مدقع ، ولا غنى مفرط . بل هناك تتمثل اشتراكية الاسلام والفطرة ، بعيش القائمون على تعهده عيشاً متشابهاً ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويغتني افراد منهم بذكائهم واقتصادهم ، فلا ترى في فقرائهم سلاطة الجياع ارباب النهم ، ولا في اغنيائهم قسوة قلوب اهل الرفاهية والنعم .

## ثمارها وزروعها

يجود في كورة الغوطة معظم الثمار والحبوب والبقول التي تجود في الأقاليم المعتدلة ، ولا يجود فيها الليمون والبرتقال ، ولا النخيل والموز للجليد الذي يحدث فيها بعض ايام الشتاء . فتنزل درجة الحرارة إلى خمس واحيانًا إلى عشر درجات واكثر تحت الصفر ، وقد اشتهرت داريا بعنبها الزيبي ويقل نظيره في انواع العنب الجيد ولطالما نقلت جفنات كرومها وزرعت في كروم بعيدة فما اتى عنبها كالعنب الذي يكون من كروم داريا واشتهرت به ، وعرفت دومة بعنبها الاحمر ، ويجود الزيتون على انواعه اجمالاً في القرى التي تكثر في ارضها الحصباء ، وليست ذات تربة طينية لزجة ، كبرزة والقابون وحرستا ودومة والمزة وكفرسوسية وبلدا وببيلا وحوش الريحانية وغيرها .

وفي الغوطة الوسطى يجود القنب ، ولا مثيل له فيما يزرع منه في بعض قرى حلب وغيرها . يجود في أرض المحمدية وحمورية والافتريس وجسرين وسقبا وكفربطنا وزبدين والبلاط والحديثة والمنيحة وجرمانا وعقربا ، اي في القرى التي تسقى من نهري المنيجي والداعياني اللذين يحملان أوساخ دمشق ، كما أنه يجود في بعض الحدائق كأرض الشاغور والبساتين الواقعة حفافي هذين النهرين ، ومحصول القنب في القرى التي تتوفر على زراعته يزيد على نصف محصولها السنوي من سائر أصناف الحبوب والثمار ، وزراعته صناعة عظيمة كالكرمة في داريا ودومة . وتستأثر سقبا وحدها بأكثر من نصف المحصول تستخرج أعواده واليافه .

ولكل قرية او بضع قرى في الغوطة خاصة لا يشاركها فيها سواها . فقد اشتهرت بساتين الضاحية وقريتا كفرسوسية والقابون بالبقول والخضراوات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يجاريها مجار في هذه السبيل من جميع القرى ، يساعدها على هذا التفرد كثرة المياه فيها وقربها من الحاضرة ، واشتهرت جسرين ببزر الفصة وبزر الخيار ، وعرفت حرستا وما اليها بالبيقية والاينسون والسمسم ، وعربيل بلوزها ، وزملكا بكمثراها ، ودومة ببطيخها الاصفر ، ويلدا وببيلا والقدم بقشدتها .

واكثر ما في الغوطة من الاشجار المغلة المشمش على أنواعه ، ويكاد يكون مشمش الغوطة منقطع النظير ويفوق بمائيته ونكهته مشمش كلفورنيا المشهور كما روى العارفون . واستخراج عصير المشمش ذي البزرة المرة المسمى بالكلابي — من الفارسية كل آبي ، ومعناه ماء الورد — فن عظيم يحسنه أهله المتمرنون عليه . أما المشمش البلدي والحموي وغيرهما من الأنواع ذي البزرة الحلوة فشيء لا تشبهه إلا فاكهة الجنة .

وهناك الجوز واللوز والتفاح والكمثرى « الانجاص » والخوخ والجانرك والآس والصبار والدراق والتوت الشامي والتين والسفرجل والزعرور وغيرها من الفواكه التي هي مضرب الأمثال بطعمها ونكهتها وحجمها ، وكان يكثر في الغوطة الزعفران والكراز والوشنة والكستانة ( الشاه بلوط ) والبندق والمشمولة والقراصيا والاجلجق ( قزلجق ) فبطل غرس الكستانة والبندق وقل القزلجق والوشنة والمشمولة وفقد الزعفران بالمرة كما نسيت زراعة القطن وزراعة التوت لتربية دود القز . وكان لدود القز في القرن العاشر محلات بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان تهرع الناس اليها في أيام حل جوز القز حتى يصير حريراً للفرجة عليه .

ومن أعظم موارد الغوطة الحور ( الرومي والفارسي ) والصفصاف ومن محاسنها الحيلان يشبه الصفصاف تصبغ في أوائل الربيع جميع أغصانه بالأحمر كقضبان المرجان ويلحق به شجر الأزادرخت ( الزنزلخت ) وله زهر طيب الرائحة ويزرعونه على جانبي الطرق العامة والجادات ، وكان يكثر فيها شجر السرو ولا تخلو دمشق وأرباضها من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أشجاره وكثرته إلى اليوم في أرض الصالحية ، وكان الى القرن الماضي وافراً في أرض الغوطة وما كان يخلو كل بيت في دمشق وغوطتها من شجرة أو شجرات منه . ومن الاشجار الحديثة فيها الاوكاليبتوس او الكينا والسنط (الاكاسيا) والمشمش الهندي وبعض أصناف صارت بالتفنن بالتطعيم مثل المشمش الحلو ، ومنها الكراز . ومن البقول البطاطا والبندورة . ويحاول بعض الغوطيين أن يربوا شجر الشوح وما أظنه يجود في اقليمنا ، كما يجود في رومانيا من بلاد حوض البحر الأسود ، ولكل كورة خصائصها الجوية والأرضية تعمل في النبات والحيوان .

## أنهارها وريها

تبدلت معالم الغوطة كما قلنا غير مرة كأن الأرض الخصبة تحتاج أبداً إلى من يثيرها ويجددها ويسمدها ، فإذا كثرت فيها الصروح والقصور والمصانع المتينة تجمد أرضها وتضيع مزيتها ، لذلك كانت أرض الغوطة أبداً في تجدد ، ومعها تتجدد المرافق والمعالم والأوضاع . وليس في صحيفة هذا الوجود ما يثبت على الدهر ، ولم يتبدل في الغوطة ماؤها ولا هواؤها ولا تربتها . فالغوطة تسقى من سبعة أنهار أو جداول كبيرة مشتقة من نهر بردى ، ولكم أن تقولوا ان الغوطة هبة بردى كما أن مصر هبة النيل . وبردى هذا يشتق منه الداراني والمزي والقنوات وبانياس وثورا ونهر يزيد ، وهذا النهر حفره أمير المؤمنين يزيد ابن معاوية فنسب إليه ، وقيل حفره يزيد بن أبي سفيان عم يزيد بن معاوية . وما يدخل مدينة دمشق من هذه الأنهار يحمل قاذوراتها فتكون سماداً يوزع في ارضها كلما اراد الغوطي ارواءها . وهذا من جملة العوامل في خصب الغوطة وامراعها ، يضاف الى تربتها الغنية وجوّها المعتدل . وقد تحفر في بعض الاماكن اربعة او خمسة امتار ، ولا تصل إلى طبقة الحصباء والحجر ، لكثافة الطمي او المادة الصالحة للزرع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هـذا أهم ما يسقي الغوطة من الأنهار ، ومن ارضها تنبع عدة قنى تسقي مزارعها واراضيها وما وراءهـا من ارض المرج مثل عيون فاسريا تنبع من سفح الجبل شمالي دومة وتكون حارة ثم تبرد . وهذه العيون تسقي قرية عذراء في المرج ، وكذلك عيون قلايا في ارض المحمدية تسقي ما انخفض من الارضين هناك وربما كان اسم قلايا وفاسريا اسم القريتين اللتين يجريان إليهما . ومثل نهري الزابون والملك ينبعـان من بردى او من عين قريبة من مجراه ويسقيان بعض اراضي جسرين والمحمدية والافتريس ومثل نهري الشيلاني (الشيداني) والبيلاني (البالاني) يسقيان الحديثة وزبدين وبالا وهما مما ينبع من قرارة بردى ويتجمع من مصاصات المياه المجاورة . ومن القرى ما لا تصل إليه مياه بردى كبعض ارض داريا وارض صحنايا والأشرفية وحوش الريحانية وبلاس وسبينة وسبينات وحجيرة والبويضة وقبر الست وبرزة فانها كلها تسقى من قنى خاصة بها ، أو من جدول قريب كبرزة تسقى من نهر معربا أول جبل قلمون او سنير ، او من عيون هي في حقيقتهـا رشح من ماء بردى كعين حروش في أرض زبدين . ومياه هـذه العيون كمياه الأنهار منظمة بنظام دقيق بحيث تأخذ كل أرض حقها وتوزع على أرباب الحقوق توزيعاً عادلاً ، ولهم فيها مصطلحات يصعب على غير أهل القرى أن يتفهموها بسرعة . وليس في حقول الغوطة ما تعيش زراعاته الصيفية عذياً أي من المطر كزراعات الجبال . واكثر أهل الغوطة تمتعاً بالمياه أرباب البساتين المحيطة بالعاصمة ، يسقون عندما يريدون من مواصيهم ، وتكاليفهم من الجباية اقل من تكاليف أهل القرى .

يتبع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# نظرة في الكلام المجازي

## عندنا وعند الافرنج

مما هو ثابت بالحس والمشاهدة فلا يحتاج الى جدال وبرهان اننا في نهضتنا العلمية الحاضرة ينبغي لنا ان نضيف الى ما عندنا والى ما ورثناه عن سلفنا الصالح كنوز نفائس وفوائد تتمتع بها الامم الافرنجية في عصرهم الذهبي الحالي ، ولا غبن عليهم ولا عار علينا ان يعيرونا جانباً واسعاً من ذلك كما أعارهم اجدادنا قناطير مقنطرة خلال عصورهم الذهبية التي لا تقل عن سبعة او ثمانية قرون ابتداؤها بوجه التقريب في المئة الثالثة للهجرة . ومن ثم وجب علينا ان نعنى عناية خاصة بفن التعريب اعني حسن النقل عن اللغات الاعجمية بحيث لا نضيع شيئاً من معاني الاصل المنقول عنه . ولا نشوه شيئاً من محاسن الفرع اي محاسن اللسان العربي المنقول اليه بل نحفظ له قوالبه المعهودة له ونصون طابعه الاجمالي في كل قطعة وكل بحث ولا ندخل عليه من مفردات ومركبات الاعاجم الا قدراً يسيراً يقارب ما عهدناه في لساننا ، اولا نراه بعيداً عنه في القياس فلا يتأذى صميم لغتنا ولا يتنكر وجه ادبنا بهذا القدر اليسير . وهذه شروط لا نجد الا فئة صغيرة من فحول كتابنا وادبائنا يلتفتون اليها ويعملون بمقتضاها . واما سائر حملة الاقلام بيننا فهم في هذه السبيل إما قاصرون ، وإما مقصرون ، وإما مقصّرون عنه توانياً وكسلاً حتى دب دبيب الخلل والفساد الى الانشاء العربي الناصع من حيث نشعر ولا نشعر ، والى ناحية كبيرة من نواحي كرامتنا القومية وواجباتنا الوطنية . وهنا هنا موضع الخزي والخذلان ، والضرر والخطر .

وقد وضعت لهذا المطلب السامي الشأن كتاباً منذ بضع سنوات سميته « كتاب فن التعريب عن اللغة الفرنسوية » والاحكام والفروق التي تنطبق على لغة الفرنسيس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عند التعريب عنها ، يتناول اكثرها غيرها من لغات غربي اوربا كالايطالية والاسبانية والانكليزية والالمانية والرومانية ، فجميعها اخوات او بنات اعمام متحدرات من اصول لاتينية او يونانية قديمة . واما مقالي الحاضر فأريد ان التفت فيه لفتة خاصة الى الكلام المجازي عندنا وعند الافرنج ، فان نقل الكلام المجازي الاجنبي الى لساننا عقبة كؤود يجب ان تتضافر الاذهان والاقلام على تذليلها وتمهيد طريقها ، فاذا وفقنا لذلك واتفقت عليه كلمتنا زالت من امامنا اعظم مصاعب التعريب وعوائقه . والذي ذكرته من هذا القبيل في كتابي « فن التعريب » هو جل ما وصل اليه فهمي واجتهادي وانطبق على ذوقي ، ولعله لا يخلو من فائدة ومعونة ، ولكنه غير كاف لأنه لا يشتمل على حكم جامع مانع . فهذا الحكم الخطير ليس من الحق ان يصدره كاتب واحد ولا من الصواب ان يطالب به كاتب واحد ، وانما يتعاون عليه ويتشارك فيه جماعة من خدّام اللغة العربية والادب العربي . وها انا جئت افتح الباب في وجه هؤلاء الاخوان فعساهم بعد ذلك ان يدلوا ابناء الامة على غرف الدار ومسالكها ومستشرفاتها ومرافقها .

متى يجوز لنا ان ننقل الى لساننا الكلام المجازي الافرنجي حسب ظاهر لفظه واسلوبه ؟ ومتى يجب علينا ان نضرب صفحاً عن لفظه واسلوبه ونقتصر على تأدية معناه حسب قوالب لغتنا ؟

اما الذي اتبينه أنا من هذين الشقين فهو كما يأتي :

ان الكلام المجازي الافرنجي يحسن نقله الى العربية حسب ظاهر لفظه واسلوبه في هذه الحالة :

اذا كانت الصورة المجازية مسموعة شائعة في لساننا نحو : « عقدَ حديثاً » — *Lier une conversation* ضرب العدو معقلا . *Battre une place* اي اطلق عليه نيران المدافع . — « راية منصورة *Un drapeau victorieux* اي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اصحابها منصورون – « عقل ناضج *Un esprit mûr* » اي كامل بالتجارب — « صقل عبارة *Polir une expression* » اي هذبها — « صارع الشقاء *Lutter contre la misère* » اي قاومه — « ابناء الظلمات *les enfants des ténèbres* » اي ابناء الضلالة — « ثقل الصولجان *le poids du sceptre* اي مصاعب الملك — « ميناء النجاة *le port du salut* » اي المنجى — « عقل مخصب *Uu esprit fécond* » اي عقل متسع قادر ·

ويدخل في هذا السلك كل ما كان وارداً على طريق مجاز مشاع ، تشبيهاً كان او استعارة او كناية فهو غير محسوب من خصائص اللسان العربي ولا من خصائص اللغات الافرنجية كوصف بعض شعراء الافرنج الشعر المسدول بالتموج وتشبيههم الغدير الصافي بالمرآة ، ولحاظ الحسان بالاشعة · وكقول احد ادبائهم مشيراً الى مساوئ طور الشباب وقلة خيره : « ليس ما يدعونه ايام الصبى الا وميض برق في ليل عاصف » وكقوله في وصف معيشة قروي : « وكان بين امرأته واولاده كالشجرة الناضرة كلها ثمرها الناضج » وفي كرور الايام المستمر : « الزمان بحر دائم الجريان لا ساحل له والمرء فوقه يتخبط على غير هدى ولا يصيب مرفأ يرمي فيه » وفي ذكر امّ تتأمل صغيرها : « كانت تنظر بحنو الى طفلها وما هو الا وعاء ستملأه حادثات الليالي » وفي شقاء الرعية لرفاهية ملوكها : « لم ينسج ارجوان الملوك الاّ من دماء رجالهم » ·

ولكني لا استحسن مثلاً ان تقول في التعبير المجازي كما يقول الافرنج « دموع مرة » عوض « دموع حارة » ولا « احترام عميق » عوض « احترام عظيم » وغابات نائمة » عوض « غابات هادئة او ساكنة » ولا « جبهة هادئة متكبرة » عوض « عليها سمات الهدوء » ولا « مدّ اليه يداً مستحية » عوض « مد اليه يد الحياء · او — مد اليه يده بحياء · او · مدّ اليه يده مستحياً » ولا « طلب يد فلانة » اي خطبها الى اهلها » ولا « الزمان الذي يتبختر » اي الزمان المشرف على الزوال ·



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهل يمكن وضع حدود ورسوم لهذا المرفوض وذاك المقبول من المجاز الافرنجي ٠ وكيفما افضى بنا البحث والاستقراء فلا شك انه يجب رفض الصورة المجازية الافرنجية اذا كانت من خصائص انشائهم وهي غير معهودة في انشائنا ٠ واذا كانت عندهم دالة على اصطلاح خصوصي او عادة في معايشهم او فيها تلميح الى حديث او حادث في تاريخهم ٠ ويكثر ذلك في الامثال والكلمات المأثورة القريبة من مجرى المثل ٠ فلا بد لنا حينئذ من كشف المراد عنها وقد يتفق ان يكون لمؤداها صورة مجازية اخرى عندنا فنذكر المجاز العربي ونترك المجاز الافرنجي وان افضيا الى معنى واحد ٠ فعوض ان نقول مثلا « ألقى آخر ورقة لعب من يده » او « اطلق آخر خرطوشة من بندقيته » يجدر بنا ان نقول : « رمى بآخر سهم من كنانته » وعوض ان نقول « عمل ملفوفة بيضاء » يجب ان نقول : فاته غرضه اوخاب مسعاه او طاش سهمه او خبا زنده

ومن هذا الشق المرفوض استعمال بعض الأدوات عندهم لمعان وحالات لا تنطبق على ما يراد منها في لغتنا ٠ فلفظة *Comme* ومعناها « مثل » تأتي عندهم بهذا المعنى وبمعنى « بما ان » وقد يستعملونها في مواضع نرى وجوب حذفها منها في العربية نحو قولهم *je le considérais comme innocent* وهذا تعريبها الصحيح : « كنت اعده ٠ او ٠ كنت اعتبره بريئًا » لا « مثل بريءٌ ٠ او نظير بريءٌ » حسب النص الفرنسوي ، وترد *Comme* في الفرنسوية للتعجب نحو *Comme il est beau !* اي « ما اجمله » ٠

« *Rien qu' à* » : يرادفها في العربية « بمجرد » في مثال قولنا : « *Rien qu'à le voir, on le soupçonne* » اي : بمجرد النظر اليه تقع التهمة عليه نحو: «*une fois que..*» *Cela, doit être vrai une fois que vous mele dites* اي « بما انك قلت لي ذلك ينبغي ان يكون صحيحًا »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(*c'est*) : لا يجوز أن ننقلها بحرفها الى لغتنا فنقول « هذا » او «هذا هو » فهذه الأداة عندهم يستعملونها لاداء معنى الحصر والتوكيد . فيجب ان نقيم مقامها ما عرفناه من وسائل الحصر والتوكيد مثل استعمال « ما والا » او ما يرادفها في النفي والاستثناء . او استعمال « انما » او تقديم اللفظ المراد حصره . او استعمال شيء من اللفظ المؤكد . فاذا قالوا مثلاً *C'est une bonne intention qui lui a dicté cette démarche* لا يجوز لنا ان ننقلها حرفيًا ونقول : « هذه هي نية صالحة املت عليه هذا المسعى » فهذا التركيب في منتهى الركاكة والخطإ بل يجب ان نقول « ما املى عليه هذا المسعى الا نيته الصالحة » او « انما دعاه الى مسعاه صفاء النية او حسن القصد » او « حسن القصد وحده دفعه الى مسعاه » او نحو ذلك

( *trop* ) هذه الاداة عندهم تدل على تجاوز الحد في الأمر فاذا قالوا : « *Il est trop sage pour commettre cette faute* » فمن المضحك ان ننقل اللفظ بنصه الى لساننا ونقول : « انه عاقل كثيرا لارتكاب هذه الغلطة » بل ينبغي ان نقول « انه اعقل من ان يرتكب هذا الخطأ » .

ان الاداتين الفرنسويتين *si* و *autant* يرادفهما في العربية «بهذا المقدار» ولكن في كثير من استعمالها نرى ترجمتها بهذا اللفظ سمجًا ركيكًا . مثال ذلك قولهم : « *Il est si ( tant ou autant ) vertueux qu'il aime ses ennemis* » فلا تنقلها بحرفها الى العربية ونقل : انه بهذا المقدار فاضل حتى يحب اعداءه » بل قل : « قد بلغ من فضله — او فضيلته — انه يحب اعداءه » او « ان فضيلته تقضي عليه حتى بمحبة اعدائه » او نحو ذلك .

ومن هذا القبيل « *pour* » فلا يرادفها في العربية دائمًا لام التعليل او « لكي » او « لاجل » . بل ذلك غالب في استعمالها لا مطرد اذ تقع في بعض استعمالاتها الفرنسوية موقع « عوضًا عن » او « عن » بمعنى عوض . او « بدلاً من » . نحو :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« *embrassez pour moi vos enfants* » فلا تقل في تعريبها « قبل لأجلي أولادك » بل قل « قبل عني اولادك » او — عوضاً عني — او - بدلاً مني ... او — نب عني بتقبيلهم . ثم ان هذه الاداة الفرنسوية نفسها *pour* يجب حذفها عند التعريب في بعض استعمالها . مثال ذلك : *je compte ces fatigues pous rien* فيجب تعريبها هكذا : « لا أعد هذه الاتعاب شيئاً » او — شيئاً مذكوراً — او : شيئاً يستحق الذكر

ولهم أفعال تخالف في بعض مواقعها عندهم ما عرفناه من مواقع مرادفاتها عندنا . اكتفي هنا على سبيل التمثيل بايراد اربعة منها : « *faire. avoir. venir. aller* »

« *faire* » هذا الفعل الذي يرادفه بالعربية في اكثر استعماله « فعلَ او عملَ اوصنعَ » قد يرد بالفرنسوية في تعابير لا يليق بنا عند تعريبها استعمال المرادف المذكور مثال ذلك ان يقال في الفرنسوية « *il a fait des efforts* » فلا تنقله حرفياً ونقل « عمل مجهودات » بل قل « بذل جهداً » . وان يقال *il a fait ses devoirs* فلا تقل في تعريبه « عمل واجباته » بل « قضى واجباته — او — اداها — او — قام بها — او قام بما عليه . الخ »

ويقولون « *il a fait malade* » ونحن نقول : « اظهر المرض — او ادّعاه — او تمارض »

« *avoir* » هو فعل الحصول عند الفرنسويين فاذا ألحق به حرف الجرّ الى هكذا : « *avoir à* » وبعد حرف الجر فعل آخر وجب ان يحل محله في العربية الفصحى اللام او على ملحقتين بالضمير او الاسم الظاهر الذي يريده المتكلم . وربما اقتضى اتساق الانشاء العربي ان يتقدم على ذلك فعل كان او وجب او ترتب نحو « *vous aurez à faire un long trajet* » وتعريبه هكذا : « سيكون عليك — او سيترتب عليك او سيجب عليك — قطع مسافة طويلة . ونحو : « *Vous*

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« *n,aurez qu à lui attirer son attention* » وهذا تعريبه : « ليس لك الا ان توجه انتباهه — او ان تنبهه » .

« *aller; venir* » يستعمل فعل المجيء في الفرنسوية احياناً للدلالة على الماضي القريب . وفعل الذهاب للدلالة على المستقبل القريب . فاذا قالوا : يجيء من فعل كذا : « *il vient de faire* » ارادوا انه فعله منذ هنيهة . واذا قالوا « يذهب لفعل كذا » *il va faire telle chose* ارادوا انه سيفعله عما قريب . او انه على اهبة القيام به . كما اشتهر انهم يستعملون فعل الذهاب للسؤال عن الاحوال فيقولون : « كيف انت ذاهب » اي كيف احوالك . ويقولون « كيف ذاهبة الأشغال » اي كيف هي .

وكثيراً ما يستعملون صيغة الحاضر في تصريف الافعال عوض صيغة الماضي عند تخبيرهم بالحوادث لأنهم يرون هذا الاستعمال ادعى الى حسن تصوير الأمر للقارئ وترسيخه في ذهنه . مثال ذلك قولهم : « *L'orateur se lève , attire l'attention et captive les esprits* » اي « ينهض الخطيب فيسترعي انتباه القوم ويختلب عقولهم » يأتون بمثل هذا التعبير والحكاية فيه عن امر واقع . واما الكاتب العربي فلا يجوز له الا مراعاة زمن الحادث مستعملاً صيغة الماضي بحيث يقول : « نهض الخطيب فاسترعى انتباه القوم واختلب عقولهم .

ومما يجدر بنا ذكره مناسبةً لما نحن فيه ان البلاغة العربية يدخل في ابوابها وطرق انشائها عكس ما ذكرناه هنا من مصطلحات الانشاء الفرنسوي . فالبليغ العربي لا يعرف اقامة المضارع مقام الماضي ولكنه يعرف اقامة الماضي مقام المضارع حين يريد الاشارة الى ان وقوعه امر محتوم لا ريب فيه . وشاهد ذلك ما جاء في القرآن الكريم عند ذكر ساعة الدينونة : « وفتحت السماء فكانت ابواباً » والمراد : « وستفتح السماء فتكون ابواباً » وانما اختار صيغة الماضي لاشعار السامع ان ذلك الحادث المستقبل منتظر لا مجال للشك فيه كما لا يشك في امر وقع واتصل بنا خبر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوعه . وهذا الاستعمال عندنا داخل في باب مخالفة مقتضى الظاهر من فن المعاني . وهو نهج معروف في العربية العامية ايضاً . مثال ذلك ان جاركم يقول لك « ان ولدي من تلاميذ الصف الاول في مدرسته وعلاماته في الدروس وحسن السلوك من اول السنة الى اليوم احسن من علامات رفاقه كلهم وهو هذه الأيام قد ضاعف انتباهه واجتهاده ومراجعاته استعداداً لامتحان آخر السنة » فتجيبه « اذن ابنك نجح واخذ جائزة الشرف الاولى من مدرسته » وانت تريد ان تقول له « ان ابنك سينجح وسيأخذ جائزة الشرف الأولى من مدرسته » . لأنه في ساعة تحادثك انت وجارك لم يكن امتحان آخر السنة قد حان ووزعت جوائزه على مستحقيها .

ومما يجب علينا الانتباه اليه وحسن تدبره كيفية نقل المجاز الافرنجي في طريق الاساطير الخرافية المأخوذة عن قدماء اليونان والرومان ولا سيما عند ذكر الارباب الوثنيين ورباتهم وانصاف آلهتهم وابطالهم ولكل منها دلالة على اعلى قمة من الصفات المختلفة كالحكمة وقوة البأس والدهاء والذكاء والجمال والغرام والحقد والانتقام وغير ذلك .

واما الخصائص في بعض المفردات والمركبات فهي عندهم كثيرة جداً يخطئها العد والاحصاء ولكن لا بد لنا من ايراد اليسير منها على سبيل التمثيل ووجوب الانتباه اليها واتخاذ الحيطة لها :

*Il a mis deux heures* معناه الأصلي : وضع ساعتين . والفصيح أن يقال : قضى ساعتين . او استغرق ساعتين

*Etude* معناه الأصلي درس . ويأتي بمعنى بحث . مبحث مباحثة .

*Etudier une question* الفرنسي يقول : درس فلان المسألة . والعربي يقول : فحصها وتفحصها نظر فيها او امعن فيها نظره او انعم نظره دقق فيها واعمل فيها فكره

*sang froid* معناه حرفياً : دم بارد . ويجب تعريبه بقولنا رباطة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجأش اوثبات القلب او ثبات الجنان · او حضور الذهن

*Il a sauvé les apparences* معناه حرفيًا : انقذ الظواهر اوخلصها : و ترجمته داری ظاهر الأمر او رعى حق الظواهر · او صان حرمتها

*Créer* خلق · وكثيراً مايجب تعريبه بفعل اختلق او ابتكر او ابتدع او انشأ

*Il était étroitem ent compromis* ترجمته الفصيحة ، كانت التهمة موجهة اليه كل التوجيه او اشدالتوجيه · أو كانت الشبهة العظمى واقعة عليه

*Il décrit avec bonheur* يحسن الوصف · يصف بدقة · او مهارة او لباقة · انه موفق في دقة وصفه كذا

*Cette influence explique son indécision* الترجمة الحرفية ذلك التأثير كان سببًا لتردده · نشأ او نجم تردده عن ذلك التأثير

وهذا القدر اراه الآن كافيًا لأجل فتح الباب لغيري والتطلع الى ما وراءه من زوايا وخبايا

اللاذقية ادوار مرقص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

# مخطوطات ومطبوعات

## الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب

من جملة مخطوطات المكتبة الأحمدية بحلب ( الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ) للعلامة ابن خطيب الناصرية في مجلدين ضخمين الثاني منهما مخروم الآخر. كان هذا الكتاب معاراً من مدة طويلة ومنذ نحو ثمان سنين استحصل على الجزء الاول ومنذ شهرين استحصل على الثاني ، ولما وصل هذا الى دائرة الاوقاف ارسلته إليَّ لارتبه لأنه قد اختلط بعضه ببعض ولا ارقام على صفحاته ، فرتبته ووضعت له أرقاماً وحصرت نقصه من نصفه الى الآخر فبلغ عشر ورقات ، وقد أحببت ان اكتب كلمة عن هذا السفر النفيس معرفاً به لعل ذلك يؤدي الى اخراجه الى عالم المطبوعات لتعم الفائدة منه .

هذا التاريخ كما قال مؤلفه القاضي علاء الدين علي بن خطيب الناصرية في خطبته هو ذيل على تاريخ الكمال عمر بن أحمد ابن العديم المسمى ( بغية الطلب في تاريخ حلب ) الذي تكلمت عليه وعلى الاجزاء الموجودة منه في مكاتب العالم وعلى ترجمة صاحبه في مجلة الجامعة الاسلامية الحلبية في تسعة اعداد وذلك من عهد قريب .

وتاريخ الكمال ابن العديم ينتهي الى سنة ٦٥٨ الى السنة التي استولى فيها هولاكو على حلب وخربها ، فجاء ابن الخطيب فذيله من سنة ٦٥٨ الى سنة وفاته التي كانت سنة ٨٤٣ قال :

احببت أن اذيل عليه ذيلاً مختصراً وقبل الخوض في ذكر الاسماء اصدره بفصول:

الفصل الأول في حلب وأسمائها ومن بناها والقابها

« الثاني في ذكر حدودها وأعمالها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث في عظم فضلها وخصائصها

〃 الرابع في فتحها

〃 الخامس في نهرها وقناتها ومساجدها ومعابدها

وقد ذكر ذلك الصاحب كمال الدين عمر بن العديم في ذيله مستوفى ، الا ان تاريخه تفرق شذر مذر ولا يوجد الا القليل منه ، و كنت وقفت على بعض اجزاء منه من المبيضة قبل الفتنة التيمرية ثم أذكر منها أو من بلادها ومن اجتاز بها من الرواة والعلماء والفضلاء والرؤساء ، ومن كان بها من الصالحين والعباد ومن نزلها او اجتاز بها او بمعاملاتها من أهل الشعر والانشاء ومن دخلها أو ملكها من السلاطين او وليها من الامراء والنواب والقضاة ومن وفد اليها والى معاملاتها من فضلاء غيرها من البلاد ، و من كان له بها مباشرة من الأعيان أو وقعة اشتهرت عنه فعدته من الفرسان ممن كانت وفاته من سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وهي السنة التي اخذ بها هولاكو حلب وخربها ، ثم انشئت عمارتها من ذلك الحين وهلم جرا الى زمني ، ورتبتهم على حروف المعجم في الاسم واسم الأب والجد وان علا مهما أمكن وكذلك في حروف الاسم واسم الأب وان علا ليكون اسهل للكشف ، ولم ادع الاستيعاب بل ما وقفت عليه او علمت او غلب على ظني انه دخل حلب او معاملتها او كان من اهلها او ولد بها ، وكذلك النوازل والنوادر اذكرها في ترجمة من توفى في السنة التي اتفقت فيها .

والمؤلف قد وفى ما التزم به كما تبين لي ذلك من تتبعه ، فعلى هذا لا يكون هذا التاريخ خاصًا بحلب بل هو تاريخ عام للبلاد السورية والمصرية والعراقية والحجازية والمغربية والرومية ، فتجد فيه من تراجم اعيان هذه البلاد كلها ممن توفي سنة ٦٥٨ الى سنة ٨٤٣ التي هي سنة وفاته مالا تجده في غيره ، وترى فيه تراجم السلاطين والامراء الذين تولوا البلاد المصرية والسورية بصورة مبسوطة بحيث يصلح ان يجمع منها كتاب واسع في اخبار هؤلاء في هذه المدة وتنقلاتهم في هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البلاد من امارة صغيرة في مصر إلى نيابة حماة فحمص فطرابلس فحلب فدمشق الى أمارة كبيرة في مصر ، فهو على هذا تاريخ لهذه البلاد كلها ، وهو مشحون بآثارهم في هذه البلاد ، وبالمقارنة مع التاريخين الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر المطبوع في الهند والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للحافظ السخاوي المطبوع في مصر تبين لي أن الكثير من التراجم جاءت فيهما وجيزة وهنا مطولة ، كما أنه في بعض الاحيان نرى بعض التراجم مطولة في ذينك التاريخين ، وهي عند ابن الخطيب مختصرة فلا يستغنى اذا بهذين التاريخين عن هذا .

وقد تكلمت على هذا التاريخ في مقدمة تاريخي ( اعلام النبلاء ( ص ٢١ ) ، ومما قلته نقلاً عن الرضي الحنبلي مؤلف در الحبب في تاريخ حلب انه لما وصل الى حلب حافظ العصر الشهاب ابن حجر العسقلاني المصري سنة ست وثلاثين وثمانمائة طالع هذا التاريخ من المبيضة ثم من المسودة والحق فيه أشياء كثيرة كما تعرض لهذا في ديباجة تاريخه المشهور بانباء الغمر بابناء العمر واثنى على صاحبه وأفاد أن كلاً منهما سمع من صاحبه .

ما وقفت عليه من نسخ هذا التاريخ

(١) نسخة حلب في المكتبة الأحمدية

(٢) » في برلين رقمها ٩٧٩١

(٣) » في مدينة غوطا ٩٧٩٢ .

(٤) » في لوندرة ٤٣٦

(٥) الجزء الثالث منه في مكتبة الأمة بباريس رقمها ٢١٣٩ هذا الجزء من نسخة في أربعة أجزاء ابتديء فيه بترجمة عبد الكريم بن أحمد المصري واختتم بترجمة محمد بن تمام الحميدي وهو في ١٥٠٠ ورقة .

(٦) نسخة في مكتبة لاله لى في استانبول في مجلدين رقمها ٢٠٣٦ و ٢٠٣٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٧) نسخة في مكتبة خالص بك مستشار الخاصة في الآستانة وهي مكتبة خصوصية .

هذا ما وقفت عليه من نسخ هذا التاريخ في مكاتب العالم .

ومنذ سنتين زار حلب المستشرق الفاضل رايخ فاخبر أن العلامة المستشرق بروكلمن الالماني مؤلف آداب اللغة العربية وقف على ٢٢ نسخة من هذا التاريخ . واستبعد ان تكون هـذه الثنتان والعشرون نسخة هي الدر المنتخب لابن خطيب الناصرية ، ويغلب على ظني أن بعض هذه النسخ هي الدر المنتخب الصغير المنسوب لابن الشحنة وهو على التحقيق للشيخ محمد بن أحمد الشهير بالملا الحلبي وقد تخلله زيادات من الشيخ إلى اليمن البتروني . وهذا طبع في المطبعة اليسوعية في بيروت سنة ١٩٠٩ ، والفرق بينهما أن ذاك في مجلدين ضخمين وبعض النسخ في أربعة أجزاء ، وهذا في جزء صغير تكلم فيه على حلب خاصة في ٢٥ باباً .

ونحن ندع تحقيق هذه الناحية الى العلامة بروكلمن الموماً اليه .

والجزءان الموجودان في مكتبة الأحمدية الأول منهما تام وهو ٦٧١ صفحة بخط مقروء ، لكن فيه تحريف كثير ، وذلك يفيد أن الناسخ من العوام وكل صفحة ٢٥ سطراً ولا تاريخ في آخره .

والثاني أحسن خطاً وضبطاً ؛ لكن فيه النقص الذي قدمناه وبعض أسطر من بعض الصفحات ممحوة وهو في ٤٦٠ صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً ولا تاريخ في آخره بل سقط من آخره ثلاث أو اربع اوراق ، وذلك عدا عما سقط منه قبل ذلك بما يكمل عشر اوراق ، وهو أقدم خطاً من ذلك وحاله يدل انه قد كتب في القرن العاشر الهجري .

محمد راغب الطباخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

## شرح الشمقمقية

للسيد عبد الله كنون الحسني ( صفحة ١٢١ )

مطبعة مصطفى محمد بمصر

والشمقمقية هذه اسم ارجوزة قافية لابي العباس احمد بن محمد بن الوزان الحميري ، وعدة ابياتها ٢٧٥ بيتاً في النسيب والحماسة ، والحسود والحكم والامثال ومدح الشعر والسلطان ، وقد اعجب بهذه الارجوزة ادباء المغرب كثيراً فعارضها ابو عمرو الرباطي من ادباء القرن الثالث عشر ، وشرحها كثيرون منهم ابو عبدالله الجريري وصاحب الاستقصاء ، وهذا الشرح المطبوع بمصر ، وكانت هذه الارجوزة قد طبعت على الحجر ضمن مجموعة من المتون العلمية في مدينة فاس ١٣١٥ هـ .

والشمقمقية نسبة الى ابي الشمقمق الاصغر الذي لقب به ناظم هذه الارجوزة ، اما الاكبر فهو ذلك الشاعر الكوفي الماجن الذي نقرأ اخباره الظريفة في الاغاني والكامل والعقد الفريد ، وكان ناظم الشمقمقية نديماً لسلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله فكناه بابي الشمقمق لظرفه ولُمَلَحه . ومطلع هذه الارجوزة :

مهلاً على رسلك حادي الاينقِ ولا تكلفها بما لم تطقِ

ويقول في خاتمتها :

اليكها ارجوزة حُسانة لمثلها ذو ادب لم يسبقِ
ما لجرير وجميل مثلها في غزل وفي نسيب مونقِ
فلو رآها الاصمعي خطها كي يستفيد بسواد الحدقِ

وقد سما الناظم في بعض ابيات ارجوزته الى درجة المطبوعين ، وأسف احياناً الى دركة المتكلفين ، واكثر فيها من الغريب في وصف البيد والقفار والحيوان والاطيار والأشجار ، كما اكثر من اسماء الاعلام والوقائع التاريخية محتذياً في ارجوزته حذو ابن دريد في مقصورته ، وقد اوضح الشارح لغة الارجوزة واخبارها ايضاحاً كافياً صحيحاً ، ولولا ما فيها من اغلاط الطبع والسهو لكملت فائدتها ، والضبط في مطابع الشرق ما زال معوزاً .

التنوخي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

## الادباء العشر

### للاستاذين اسعد طلس وابراهيم الكيلاني

من منشورات المكتبة العمومية بدمشق ، صفحاته ٢٩٦

يسأل طالب الشهادة التجهيزية ( البكالورية ) في خاتمة كل سنة مدرسية عن عشرة ادباء تختارهم لدراسته وزارة المعارف ؛ وهؤلاء العشرة عرضة للتبديل من سنة الى اخرى ، وقد اعتاد مدرسو الأدب في التجهيزيات ، ان يساعدوا طلابهم تأليف رسائل عن كل من هؤلاء العشرة ، كما فعل الاستاذان السيد خليل مردم بك والسيد سليم الجندي من اعضاء المجمع العلمي ، فقد وضع الأول رسائله ( ائمة الادب ) في الفرزدق والجاحظ وابن المقفع وابن العميد وابن عباد ، وانشأ الثاني رسائله في امرئ القيس وابن المقفع والامام علي .

وغير هذين المؤلفين قد نحا منحى آخر بتأليف كتاب يجمع الادباء العشرة كما فعل الاستاذ ممدوح حقي في كتابه ( ادباء البكلوريا ) والاستاذ خلدون الكناني والاستاذ حنا نمر في كتابيهما والاستاذان اسعد طلس وابراهيم الكيلاني في (الادباء العشر) الذي كتبنا عنه هذه الكلمة ؛ غير ان مثل هذا المنحى لا يتسع لاتمام البحث عن العشرة ، ويضطر معه المؤلف الى جمع المتفرق او الايجاز المخل احياناً ، فيجيء كتابه بعيداً عن البحث الذاتي المستقل ، مما لا يكشف حقيقة او ينير غامضاً ، ولا يهتدي به الطالب الى مواقع الحسن او القبح من التعبير ، والى مواطن الصحة او الخطأ من التفكير ، فلا يتبين لذلك حقيقة الشاعر او الناثر لتلك الأحكام التي تنطبق على كثير من الادباء ولا تريه منه الا صورة مبهمة سريعة الانطماس والدثور ، لا حياة فيها ولا نور .

وقد حاول المؤلفان لكتاب ( الادباء العشر ) ان يفيدا في هذه السنة طلاب الشهادة التجهيزية ، وان يبحثا في زمن قصير عن العشرة الادباء ، فكانا يكتبان الابحاث ليلاً ، ويقدمانها للطبعة نهاراً ليتمكنا من انجاز كتابهما قبل انتهاء السنة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المدرسية ، فوقع فيه لهذه العجلة الاضطرارية اغلاط في النصوص وفي العروض والرسم، وبعض آراء لم ينضجها البحث المحتاج الى اطالة النظر ، وكثرة التوقف ومراجعة المظان وتمحيصها .

وقد اغفل المؤلفان بهذه العجلة ان يحللا لكل اديب قطعة من شعره او نثره ليقع الطالب على مواطن الحسن او القبح كما ذكرناه آنفاً ، وليتدرب على طريقة التحليل العلمي ، ولعلهما قد تركا هذا العمل الخطير للأستاذ المدرس ، وما كل مدرس بقادر على ان يوفي ذلك حقه .

ومن العجلة احتجاج المؤلفين لصحة اسم الكتاب ( الادباء العشر ) لا العشرة ، بقولهما في آخر صفحة منه ما نصه : ( ولا بد لنا في الختام من ارشاد الذين انتقدوا عنوان كتابنا الى مراجعة بحث العدد في حاشية ابن عقيل على شرح ألفية ابن مالك ، وكتاب أوضح المسالك للشيخ المراغي فان فيهما نصاً عزيز النقل فليحفظوه! ) مع ان ابن عقيل لا حاشية له ، فهو شارح الالفية ، والمحشي هو الخضري ، وكتاب اوضح المسالك أو التوضيح هو لابن هشام ، والمراغي قد نشره نشرةً جديدةً باسم تهذيب التوضيح ؛ هذا وان ما نقله الامام النووي في حاشية الخضري عن شرح الكافية للسيد الصفوي في تجويز تذكير العدد وتأنيثه بعد المعدود موضع نظر ، لان الناقل والمنقول عنه ليسا من أئمة النحو ، وما ورد من الكلام الذي يصح الاستشهاد به لا يقبل مثل هذا التجويز .

أما تراجم الكتاب لادبائه العشرة فكافية للطالب، ومخففة من عناء بحثه عن اخبارهم واخلاقهم مما يعينه على فهم آثارهم الادبية ، وفي خاتمة كل بحث بيان مفيد للمصادر التي تعين الدارس على التتبع والاستقصاء ، فعسى ان يتلافى المؤلفان هذه النواقص في الطبعة الثانية .

التنوخي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

## باكورة في تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية

تأليف السيد هنري لاوست

H. Laoust: Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki - d - din Ahmad B. Taimya, Le Caire. 1939

نفذ مؤلف هذا الكتاب الى روح شيخ الاسلام ابن تيمية ، وغاص كما يغوص العالم الذي لامأرب له غير خدمة الحقائق في كتب هذا الامام، وهي كثيرة جداً واكثرها مما لم تسط عليه غير الدهور ، فاستخرج لآلئ بديعة في منازع ابن تيمية في الاجتماع والسياسة تمثلها وكتبها باسلوب عال باللغة الفرنسية ، ومعلوم أن تقي الدين كان يجمع الى العلم ، الديني السياسة ، ويعرف زمنه كما يقال في وصف العارفين، يعرفه معرفة اعظم رجال الدولة ، فدرس آرائه ومذهبه في الحقيقة درس لما حوت الشريعة الاسلامية في أجمل صورها واصدق مصادرها .

ان الكلام على ما خاض المؤلف عبابه يحتاج إلى بحث طويل ، ومن امتع ما قرأنا فيه تلطفه في التعليق على آراء شيخ الاسلام تعليقاً مهماً خالف رأي المؤلف ، فهو لا يخرج عن حدود أدق المؤلفين في تأليفهم .

ولو كتب لكل من يكتب اطروحته أن يمعن في درسها كما امعن الاستاذ لاوست في بحث ابن تيمية لخلفوا لنا مجموعة من الابحاث يعتمد عليها في الموضوعات التي عالجوها ، ولكن غاية معظم من كتبوا اطروحاتهم من ابنائنا كانوا يقصدون بها خدمة انفسهم بنيل شهادة العالمية لا خدمة العلم كما وقع لصديقنا لاوست، وانا لنشكر المؤلف على هذه التحفة الثمينة ونرجو ان يطرد صدور تآليفه على هذا المنهاج خدمة لعلم لا تكاد تعرف اكثر حقائقه في بلاد الغرب وبنشره بهذا الاسلوب الممتع قطع لألسن من يهرفون عن الإسلام بما لا يعرفون، ولا غضاضة عليهم في ذلك وما القصور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الا منا نحن ورثة هذا التراث العظيم ، وباهمالنا وتركنا المجال خالياً لمن يقولون فينا وفي تعاليمنا ما يقولون ، وقد نعترض على من يتوفر على الدرس فيخرج ما يهديه إليه بحثه للناس ، وليس لنا من برهان الا ما يعرض لخاطرنا بادئ بدء من رأي فطير غير نضيج .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net